نحو
مجتمع آمن مستقر

جمال ماضي

دار المدائن

دار الدعوة

الطبعـــة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع القانوني
٣٧٠٢ - ٢٠٠٨
977-253-469-x

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ شـارع منشـا - محـرم بك - الأسكندرية
تليـفون : ٣٩٠١٩١٤ - فـاكس : ٥٩٠١٦٩٥

نحو
مجتمع آمن مستقر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحو مجتمع آمن مستقر

* تأملت حال مجتمعاتنا ، وحاجتها إلى الأمان والاستقرار ، فوجدت أن الإسلام هو الضامن الوحيد لحياة المجتمعات ، بالتآخى والتحاب والتعاون والتناصر والتسامح والتعاطف والتكافل والتنافس ، ليعيش المجتمع آمناً ومستقراً وسعيداً .

* ومن ثم جاءت هذه الحلقات لاستعادة هذه التاءات المفقودة ، عساها أن تريح النفوس ، وتبهج القلوب ، فى تعايش راقى ، لم تعرفه البشرية إلا فى الإسلام .

* ولتيسير العمل بها ، أوضحنا الطريق إلى ممارستها وتطبيقها ، أسأل الله أن تكون نافعة للقراء الأحباء ، ودافعة فى مجتمعاتنا إلى الأمن والاستقرار .

جمال ماضى



أولاً
نحو مجتمع آمن مستقر

١- التآخي .
٢- التحاب .
٣- التعاون .
٤- التسامح .
٥- التناصر .
٦- التنافس .
٧- التفاهم .
٨- التعارف .
٩- التكافل .
١٠- التعاطف .

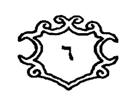
١ـ التآخى

الله يدلنا على الأخوة

أولا : الايمان والأخوة توأمان :

قضبان القطار لا يتفرقان ، مثل الإيمان والأخوة ، كالتوأمان هما صنوان ، إن توفر الإيمان تحققت الأخوة ، والأخوة الصادقة لا يقوم لها بناء إلا على الإيمان ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ الحجرات / ١٠ ، والإيمان الحق هو : قول باللسان وصدق بالجنان وعمل بالأركان ، أو بلغة عصرنا : لسان وقلب وعمل ، فإن كان لسانًا فقط كان أقرب إلى إيمان المنافقين : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف / ٣ ، أو هو إيمان الجاهلين : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ... ﴾ الحجرات / ١٤ ، وإن كان قلبا فقط كان إيمان الضعفاء الذى لا ضوء له ولا نور ولا أثر ، فما فائدة من يؤمن بالصلاة ولا يصلى ولا يدعو إليها ، أو من يعلم الحق ولا يتبعه ولا يجهر به : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴾ يوسف / ١٠٨ ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ... ﴾ فصلت / ٣٣ .

وإن كان عملا فقط فهو محاكاة وتمثيل كالممثل الذى يشرب



الخمر ثم يؤدى دورا إسلاميا مثل شخصية عابدة لأن المشهد يتطلب دورا دينيا ! .

وعليه فالأخوة إن قامت على هذا الإيمان الصادق لسانا وقلبا وعملا ، عملت عملها فى المجتمع ، وحققت أثرها فى الحياة ، ويحق لنا أن نقول : إن الأخوة ليست قولا باللسان فقط أو نبضات فى القلوب ، أو تمثيلا فى المقابلات والحفلات والزيارات ، وإنما هى : (تعبير باللسان ونبض بالقلوب وصدق فى الأعمال) .

ماذا لو عبر كل أفراد المجتمع عن حبهم وأخوتهم ، وهذا ما طالبنا به الإسلام قال النبى لسائله حين أخبره عن حبه لأخيه : « **أأعلمته** » ! .. ماذا لو عبر الآباء عن حبهم لأبنائهم ؟ والأزواج لزوجاتهم ؟ والأبناء لآبائهم ؟ والزوجات لزوجاتهم ؟ والمرءوسين لرؤسائهم ؟ والرؤساء لموظفيهم ؟ والحكام لشعوبهم ؟ والشعوب لحكامها ؟ .. إن التعبير يجر ما وراءه من نبض صادق وعمل رائع .

إن روائع المواقف التى أصبحت حبيسة فى كتب التاريخ ، لا بد أن تظهر من جديد فى مجتمعاتنا ، ولن تظهر إلا وفق هذا الأساس المتين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ الحجرات / ١٠ .

ثانيا : الأخوة نعمة من الله

والنعمة تحتاج إلى شكر لنحفظها ، وحتى لا تنزع من حياتنا ،



فليس الأمر فى حصولنا على النعمة وإنما فى المحافظة عليها ، والاستمرار بها ، والمداومة فى ظلالها : ﴿ ... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... ﴾ آل عمران / ١٠٣ .

وشكر الله كالإيمان لسان وقلب وعمل ، فالحمد لله : شكر جميل باللسان إن خلا من شعور القلب بالمنعم كانت هباء منثورا ، لأن القلب إن امتلأ بالمنعم تعالى تحول الشكر إلى شكر العمل : ﴿ ... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ... ﴾ سبأ / ١٣، فكان أبلغ رد على نعمة الله ، وكذلك الأخوة : لسان وقلب وعمل .

ثالثا : الأخوة منة من الله

واهب الأخوة هو الله ، فالذى يؤلف بين القلوب هو الله : ﴿ ... لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الأنفال / ٦٣ .

وإذا كان المانح هو الله ، والعاطى هو الله ، والمنان هو الله ، فمن الطبيعى أن يكون التعلق بالوهاب ، والتخلق بأخلاق الحنّان ، والتحقق بالقرب من الرحمان ، وهكذا الأخوة تعلق بالله ، وحب فى الله ، وحنان فى الأخلاق ، وسماحة ورحمة فى السلوك .



الحبيب ﷺ
يدعو إلى الأخوة

ومن ثم كان الحبيب ﷺ حريصا على التحقق بالأخوة والدعوة إلى تطبيقها محذرا مما قد ينتشر فى المجتمعات من آفات تقضى عليها ، فكان قوله : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** » ، وقوله : « **لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا** » .

وفى دبر كل صلاة ما ترك النبى التأكيد على ذلك ولطالما سمعه المسلمون يكرر : « **اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه أنا أشهد أنك الله وحدك لا شريك لك ، أنا أشهد أنى محمدا عبدك ورسولك ، أنا أشهد أن العباد كلهم أخوة** » .

وبالتأمل فى هذه الدعوة المتكررة من الحبيب نجد أن النبى الكريم قد ساوى بين ثلاثة أمور : بين التوحيد لله والرسالة للنبى والأخوة للعباد كلهم .

فأى دعوة تظلل أهل الأرض بالسلام والحب والأخوة ، وأى حماقة يرتكبها الذين يتنكبون طريق الإسلام ، ويصرون على التخبط والصدام .

وقد رأيت أن العلماء قد اتفقوا على أن معنى قول الحبيب : « **إن العباد كلهم أخوة** » فى أمرين :

الأول : أخوة إنسانية عامة بين أهل الأرض كلهم بأديانهم

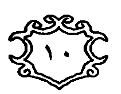


المختلفة وأطيافهم الشتى وتياراتهم المتعددة ، وعلى ماهم عليه من جنسيات وثقافات وألوان ولغات ، حيث لا عنصرية قاتلة ، ولا شحناء مدمرة ، ولا كراهية مهلكة : « **كلكم لآدم وآدم من تراب** » ، فقد أرسل الله أنبياءه لأقوامهم وقد ناصبوهم العداء ومع ذلك قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ... ﴾ هود / ٥٠ ، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ... ﴾ هود / ٦١ ، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... ﴾ هود / ٨٤ .

الثاني : أخوة إيمانية خاصة بين المسلمين فى المجتمع الإيمانى ، تربط القلوب بعقيدة واحدة ، وشعائر واحدة ، وقبلة واحدة ، وشريعة واحدة . أو قل : برب واحد وأسوة واحدة وسلوك واحد ، أو قل : وحدة عقيدة ووحدة شريعة ووحدة أخلاق ووحدة معاملات .

فماذا ينتظرنا إلا أن نحقق الأخوة ، وإذا سأل سائل ما هى أركان الأخوة حتى نحقق المجتمع الآمن المستقر ، فهذا موضوعنا القادم إن شاء الله .

❊ ❊ ❊



٢ـ التحاب

١ـ المحبة :

ما سر انتشار العداوة والبغضاء فى العالم اليوم ؟ حتى باتت المجتمعات تتآكل و تنهار والسبب يرجع إليهما ! .

وإذا كان الإسلام جاء لنشر الأخوة على الأرض وهذه من طبيعته السمحة ، فلماذا تناصبه أمريكا العداء ؟ ولماذا تستهدفه الصهيونية بالبغضاء ؟ وها نحن نرى نتائج العداء على المستوى العام : فى احتلال البلاد وإزالة الأنظمة وقتل الزعماء وتهديد الحكومات ، أما على مستوى الشعوب : فقتل للأبرياء وترويع للأطفال وتعذيب ومعتقلات للرجال وأسر للنساء ، ناهيك عن تخريب الزراعات وتدمير البيوت وإزالة مدن من على الخريطة !! .

وكل ذلك فى غفلة تامة من قادة الأمة الذين أصبحوا بين ميت ومحتضر أومجنون ومشلول أومريض وعاجز ، حتى الصحيح منهم بات عميلا أو ضعيفا أو مأجورا أو مخبولا بكرسيه !! ، فكيف بالله يقام بهم بناء ؟ ، أو تشاد عن طريقهم نهضة ؟ هذا على مستوى المجتمع الدولى ، أما على مستوى مجتمعاتنا المسلمة فأصبحت البغضاء والعداوة لها الصدارة فى بيوتنا وأعمالنا ومؤسساتنا وكافة شئون حياتنا .



ولو تنبهنا لكتاب الله تعالى وهو يفصح لنا عن أسباب هذه العداوة وعلى كل المستويات ، نجدها مجملة فى أمرين اثنين ، بهما نستطيع من جديد أن نسلك طريق الفلاح والسعادة ، وهو أمر ليس بالمستحيل وفى استطاعة كل واحد منا تحقيقه ، فيتغير مجتمعنا إلى ما نصبو إليه من رفاهية ووئام ورخاء ومحبة ، فالمفتاح فى أيدينا : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ الرعد / ١١ .

★★ السبب الأول : الانحراف عن شرع الله ونظام الإسلام للحياة :

لماذا يصر بعضنا على أن التقدم فى مجتمعاتنا لا يتحقق إلا بإبعاد الدين عن حياتنا والدين هو حياتنا ؟ ، هل هو خوف من الطهر والنقاء الذى يهدد مصالحهم القائمة على الفساد والانحراف ؟ أم هو خوف من تهديد من يرى ضياع مصالحه ، إذا وعت الأمة الإسلامية دورها الرائد بالدين ونظام الإسلام ، ولذلك يعمل جاهدا على تأخرها ، بنشر الرذائل والملوثات وكل أسباب التخلف وعقاقير الغيبوبة ؟؟ .

وأيا كانت الأسباب فنحن نتعامل بايجابية مع النص القرآنى فى أن نقدم العلاج إذا عرفنا العلة ، فلماذا لا نحتكم إلى الشرع ونتخذ الإسلام نظاما لحياتنا ، فتختفى صور العداء والكراهية ، يقول تعالى : ﴿ ... فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة / ١٤، هذه عقوبة إلهية للمجتمعات ، لأنهم نسوا حظا مما ذكرهم الله به من طاعته وعبادته والاحتكام إلى أمره ، فما بالك اليوم عما نسى تماما أمر الله تعالى ؟ .

★★ السبب الثانى : فعل المحرمات وارتكاب الكبائر :

فعل الكبائروانتشار الرذائل دون حياء ، وفى جرأة على الله ، ومجاهرة بالفضائح والافتخار بها ، كل ذلك يورث العداوة والبغضاء ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ... ﴾ المائدة / ٩١ .

وكم من المحرمات ترتكب فى مجتمعاتنا حتى باتت من طبيعة المجتمع ، ورضى الله عن صحابة النبى ﷺ وهم يقولون لجيل التابعين : إنكم تفعلون أشياء كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات !!! ، من الكبائر ، من الأمور شديدة الحرمة ، ولمن لجيل الصلاح الأول ! سبحان الله ، ماذا يقولون لأجيالنا لو رأوا مجتمعات أمتنا اليوم على الأرض ؟ ! .

خمر وميسر وقمار وربا ورشوة وظلم واستبداد وانتهاك للحقوق وكبت للحريات و ..... و..... ! ، وحقيقة هذا نراها بأعيننا ونعيش فى مآسيها ليلا ونهارا ، فهلا أخذنا منها العبرة ؟ ، وهلا وعينا الدرس ؟ ونحن نراها فى مجالس اللهو ، ودنيا



المراقص ، و ليل الملاهى ، وظلام المخدرات ، وعالم الإدمان ، وحفلات المجون ، وكم تنتهى هذه الأشكال بالشجار وإيقاع العداوة والبغضاء وتفكيك المجتمع وتدميره ، أسرا وأعمالا وأقارب وعائلات ودراسات وتجارات ، شبابا وفتيات ، أطفالا وشيوخا ، رجالا ونساء .

★★ إلى العلاج فماذا ننتظر ؟

والذى يقدم العلاج هو خير البشر ، رسول الله ﷺ : ليجعل المجتمع بعيدا عن هذه الفيروسات التى تنهش فى داخله ، وتهدم بنيانه ، فحذرنا من العداوة والبغضاء وسماها « **داء الأمم** » ونبهنا إلى أنها « **الحالقة التى تحلق الدين** » ، فقال : « **دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين** » ولك أن تتصور فى صورة كاريكاتيرية كيف أن الآلاف من المسلمين يقفون فى طوابير أمام صالون الشيطان ليحلق كل منهم دينه ، ويعودون على الزيرو ، ولا يدرى أحدهم أنه يفقد دينه ، والسبب استجابته للعداوة والشحناء والبغضاء والضغينة **!!** .

وقدم لنا الحبيب ﷺ **التعامل الايجابى معها إن وجدت** ، فى علاجات ثلاث ، لتختفى صور الانهيار ، وننعم بحياة طيبة كريمة ، رغم أنف الشامتين والمتربصين والكارهين ! فإلى علاج رسول الله .



العلاج الأول : أفضل الدرجات :

من أراد الدرجات التى هى أفضل من أى طاعات ، فليسرع إلى الإصلاح بين المتخاصمين من الناس ، وهذا حافز قوى ، ودافع عظيم ، لصد عمل الشيطان ، بعودة العلاقات الصافية بين الناس فى المجتمع ، ويا حبذا لو كان الأمر منظما : فى لجان من الخبراء والمتخصصين وأصحاب التقوى والقدوات ، والاستعانة بكل ما يدفع لتحقيق الهدف ، يقول ﷺ : « **ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة** » .

العلاج الثانى : تفتح أبواب الجنة

استثنى الله من الشهور شهر رمضان وجعله فرصة لعباده المجتهدين والمشمرين فى أن تفتح أمامهم أبواب الجنة ، ولم يحرم الله تعالى عباده بعد رمضان ، فاستثنى من الأيام يومى الأثنين والخميس فتفتح فيهما أبواب الجنة ، فيغفر الله فيها للطائعين من المسلمين ، يقول الحبيب فى هذا العلاج لكل متخاصمين متشاحنين : « **تفتح أبواب الجنة يوم الأثنين والخميس ، فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئا ، إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا** » ، فهى إذن دعوة علاجية مجانية من الرسول لكل متشاحنين بالإسراع للمصالحة ، ومدة المراجعة

حددها النبى بثلاثة أيام فقال : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما من يبدأ بالسلام** » . فهل من باغ للخير وأبواب السماء مفتحة ، يعيش فى أيام رمضان وأجر رمضان فى غير رمضان !! .

العلاج الثالث : قبول الطاعات

المهم فى أن يقبل الله العمل ، وهذا غاية الطائعين ، ﴿ ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة / ٢٧ ، ولكى تكتمل الأعمال ليقبلها الله تعالى ، كان هذا العلاج النبوى فى تنبيه الرجل والمرأة وكل أخوين ، فيقول الحبيب : « **ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا ، رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان** » ، وليس الأمر من الحديث أن نحكم على الناس بقدر ما نكون ايجابيين فى أن نخلع أنفسنا رجالا ونساء وإخوة من هذه الصور التى لا يقبلها الله ، ولا يتقبل منا فيها الطاعة ، ولو كانت فى الصلاة ، والرجل المكروه ليس بإمامته فى الصلاة فقط ، وإنما بإمامته فى كل شأن من شئون الحياة : أبا أو مديرا أو مسئولا أو قائدا أو موجها أو حاكما أو ..... أو ... « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » ، ورضى الله عن المرأة التى ضرب الرسول بها المثل الجميل ، الصالحة التى إذا غضب منها زوجها أخذت بيده وقالت : لا أكتحل بغمض (لا أنام) حتى ترضى عنى ، والنموذج الثالث أخوان ولم يقل« مسلمان »



بل قال : « أخوان » ، فلهما علاقة خاصة ، ومع ذلك لا يقبل الله منهما صلاة حتى يصطلحا ولا يتصارمان أو يتخاصمان أو يتشاحنان .

أفكار عملية فى المحبة بين أفراد المجتمع

١ – أقلها سلامة الصدور من الحسد والحقد والبغضاء والعداوة والشحناء ، سئل النبى عن أفضل الناس فقال : **« كل مخموم القلب صدوق اللسان »** ، فقالوا صدق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ فقال : **« القلب النقى التقى لا إثم فيه ولا غل ولا حسد »** .

٢ – أعلاها الإيثار فى أن تقدم غيرك على نفسك ، فهل أنت مستعد أن تجوع ليشبع غيرك ؟ وتعطش ليشرب غيرك ؟ وتسهر لينام غيرك ؟ وتجهد ليرتاح غيرك ؟ يقول تعالى عن الإيثار بين المؤمنين : ﴿ ... **وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ... ﴾ الحشر / ٩ .

٣– إفشاء السلام يقول الحبيب : **« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم »** ومثل السلام الهدية **« تهادوا تحابوا »** ، والتعزية وعيادة المريض وتشميت العاطس ومصافحة الأيدى والوجوه المبتسمة وشهود الجماعات والتهانى فى المناسبات



والأعياد والجمعة وصلوات الجماعة والصالونات والمنتديات .

٤ - الابتعاد عن الرذائل التى تؤدى إلى العداوة مثل : السخرية وسوء الظن والتجسس والغيبة واللوم والاتهام والسب واللعن والانفعالات غير المحسوبة والغضب ، « **وكونوا عباد الله إخوانا** » .

* * *



٣ـ التعاون

هل نكره التعاون ؟

هل نحن نعيش حقا فى مجتمع يساعد فيه الناس بعضهم بعضا ، بدرجة تسمح لنا أن نقول قد تحققت فينا الآية الكريمة : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾ المائدة / ٢ ، هل تحقق التعاون بمعناه القرآنى فى الحاجات وفعل الخيرات ، أو كما فى النص : ﴿ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ ، وليس فى الإثم والعدوان ، وإيذاء الناس ونشر الفواحش .

هل نكره التعاون ؟ ، كيف والتعاون من ضرورات حياتنا ؟ ، فمن المستحيل أن يقوم الفرد بمفرده بكل أعباء الحياة ! ، والله الذى كلفنا بالتعاون ، هو الذى يعيننا عليه ، فمن رحمته تعالى أنه لم يجعل تكليفا بلا إعانة منه ، ولذلك دعانا النبى الكريم إلى هذا الخلق ، فنعين من جعل الله تكليفهم بأيدينا يقول النبى ﷺ : « **ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم** » متفق عليه .

هل نكره التعاون ؟ ، كيف والله خلق الفطرة الانسانية مجبولة على التعاون ، حتى فى جميع المخلوقات ، فالتعاون بات السمة الواضحة التى يتعلمها الإنسان من النمل ومن النحل ، فى مواجهة عقبات الحياة ، دون شكوى ولا سخط ولا ملل ! ،



وبعمل لا يعرف التوقف أو الملل أو التوانى ، وبنظام تعاونى دقيق ، لا يعرف إلا المشاركة والتعاون ! .

هل نكره التعاون ؟ ، وبه يزيد الجهد بين المتعاونين : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » ، وبه يصل المتعاونون إلى فرص لم يعهدوها من قبل بسرعة واتقان : « **مثل المؤمنون فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » ، وبتعاون المتعاونين تكون معية الله معهم : « **يد الله مع الجماعة** » فعون الله محقق لهم وهو ما نسأل الله إياه سبعة عشر مرة فى صلواتنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة / ٥ ، وبالتعاون يتوفر للمتعاونين الكثير من الوقت والجهد ففى الحكمة : (المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه) .

كيف تتعاون مع الله ؟

نترك الحبيب المصطفى ﷺ يشرح لنا كيفية التعاون مع الله ويجيب لنا على هذا التساؤل المهم فى حياة كل مسلم ، يقول : « **من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة** » ، ويقول : « **الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه** » ، ويفصّل ذلك بقوله : « **وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة** » .

ويذكرنا بمواقف فى يومنا يجب علينا الانتباه إليها ، فيقول : « **ما من مسلم يخذل مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله فى موطن يحب نصرته ، وما**



من امرئ ينصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » أبو داود بإسناد حسن .

لقد فتحت عمورية بسبب نصرة امرأة مسلمة من حاكم متعاون مع شعبه ، حينما صرخت : وامعتصماه ، فقاد الخليفة المعتصم جيشا حتى فتحت عمورية ثم سأل المعتصم : أين التى تستصرخ ؟ تعاون بالأفعال لا بالأقوال ، تعاون بالأعمال لا بالكلام .

وهل من التعاون مع الله هؤلاء اليوم الذين يضعون أيديهم فى أيدى أعدائهم ، بل ويفخرون بالتعاون الكامل معهم فى كل أوجه الحياة ؟ .

لا أستطيع إلا أن أقول إنه السفه بعينه ، وإنها التفاهة نفسها ، حينما يتعاونون مع من يقتل الرجال ، وينتهك الحرمات ، ويدنس المقدسات ، ويخرب الزراعات ، ويدمر البيوت ، وييتم الأطفال ، ويستحى الأعراض ، أين هذا التعاون المزعزم من قوله ﷺ : « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » .

كيف لا تتعاون مع الشيطان ؟

فمن لم يتعاون مع الله مع من إذن يتعاون ؟ أيتعاون مع الشيطان ؟ والله تعالى يقول : ﴿**وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...**﴾ المائدة / ٢ ، وهو ما نراه من صور كريهة باتت اليوم فى مجتمعاتنا تنشر أخبث الروائح ، ومع ذلك يصر أصحابها على التعاون مع



الشيطان ! ، بالسخرية من العصاة ، والاستهزاء بالمذنبين ، والواجب الأخذ بأيديهم والنصح لهم وعلاج أخطائهم ، كما قال الحبيب المصطفى ﷺ : « **لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم** » .

فمن لا يتعاون مع الله فقد فتح أبواب التعاون مع الشيطان بيديه ، فإذا به يتعاون على عداء الصالحين ، وإيذاء المؤمنين ، والصد عن سبيل الله ، و إسكات المصلحين ، وتصفية أهل الحق ، فالأعداء أيضا يتعاونون ولكن علينا . يقول تعالى : ﴿ **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ** ﴾ طه / ٦٤ ، فهل نواجه التعاون علينا بالتشرذم ، وهل يعقل أن نواجهه بالاختلاف ، وهل ينفع أن نواجهه بالتفكك ؟ .

فمن أراد ألا يتعاون مع الشيطان فليفقه هذه الأمور جيدا ، ولابد من الفريق وروح الفريق ، فالسهم الواحد يتعاون في أجره ثلاثة :

صانعه

ومعده

وراميه .

ليتحقق الهدف ، وروح الفريق في القلوب المؤمنة التي يهرب منها الشيطان : ﴿ ... **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** ﴾ الحشر / ١٤ .

وهذا هو العقل :

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا

كيف نحب التعاون ؟

التعاون مأخوذ من العون ، ومن أجل التعاون كان الخطاب فى القرآن جماعيا ، فقد وردت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ٨٩ مرة ، و﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ٢٠ مرة ، ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ ٥ مرات .

عن النعمان بن بشير قول النبى : « **المسلمون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله** » فهل تحب أن نكون جميعا رجلاً واحداً ؟.

ويقول النبى ﷺ : « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** » فمن منا لا يحب أن تنفس كربه يوم القيامة ؟ .

عن أنس أتى النبى رجل يستحمله فلم يجد ما يحمله فدله على آخر فحمله ، فأتى النبى فأخبره فقال : « **إن الدال على الخير كفاعله** » ، فالاخلاص لا يزيد بل لا يتنامى ولا يتجدد إلا بالتآزر والتعاون .

وبالتعاون تتحقق الألفة ويتلاشى سوء الظن ، ونتعامل بسلامة الصدر ، وتسقط التكلفات ، وننفتح على المجتمع ، فلسنا وحدنا فى المجتمع ، وتنتشر الأنشطة الدعوية كل بتخصصه ، وتشحذ

الهمم ، وتجدد الطاقات ، فالعاقل من أضاف إلى عقله عقول الآخرين .

ولن نتعاون إلا إذا انتصرنا على فيروسات التعاون التى هى كالسوس ينخر فى داخلنا ونحن لا ندرى ، من حب الصدارة والشهرة ، وسوء الظن بالمتعاونين ، والفرقة والتنازع ، والحسد والحقد ، والضعف ، و اليأس والإحباط .

وأخيراً :

التعاون له صور متعددة وكلها مشرقة فمن الذى يبادر ؟ حيث يجد المشروعات المشتركة ، والأعمال المشتركة ، والقناعات المشتركة ، حيث مشروعات تفريغ الطاقات وتشغيل الشباب ، وتبادل التميزات ، وهذا أمر ميسر فالدين يأمر ، والإنسانية تعترف : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ... ﴾ النساء / ١ ، حيث لا حواجز بين المسلمين ليتعاونوا ، بل مصير واحد وحضارة واحدة ، تحتم علينا جميعا بذل الجهود ، من أجل مجتمع آمن مستقر ! .

***



٤ـ التسامح

الحلقة الأولى

أول قيمة عرفتها الأرض كانت قيمة التسامح ، يقول تعالى : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ المائدة / ٢٨ ، وقام الأنبياء عبر العصور المختلفة ، بترسيخ هذه القيمة فى المجتمعات ، فحينما امتدت يد البطش بنبى الله عيسى عليه السلام قال قولته المشهورة : رد سيفك إلى غمده فإن الذين يلجئون إلى السيف يهلكون .

ومن ثم جاء القرآن الكريم مخاطبا البشرية بإحياء هذه القيمة ، سواء فى مجال العقيدة أو مجال التعايش مع الناس فى المجتمعات ، وقد ترجمها النبى الأسوة ﷺ ، فكانت تنبض بالحياة وتخفق بالحيوية ، رآها الناس ، ولم يسمعوا عنها فى موعظة أو موقف نصح ، ، بل وتحققت فى حياتهم ، فنعموا بمجتمع الاستقرار والأمان .

تسامح الأسوة ﷺ

فالتسامح قيمة عالمية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء / ١٠٧ ، ولذلك كان السر فى الممارسة النبوية ، خلال هذه الآيات



القرآنية التى خاطب بها الله رسوله ﷺ :

١ - ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف / ٨٩ ، يقول الطبرى : نزلت حينما دعا النبى ربه : ﴿ ... يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ الزخرف / ٨٨ ، ومعنى الآية أى اصفح عنهم يا محمد وأعرض عن آذاهم ، وقل سلام عليكم ، ﴿ ... فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ الحجر / ٨٥ .

٢ - ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف / ١٩٩ .

فكان التسامح فى حياة المجتمع النبوى لا يشدد على الناس ، ولا يؤاخذ الجاهلين ، وإنما يسر وتيسير ، ورحمة بعد رحمة ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ آل عمران / ١٥٩ .

٣ - ﴿ ... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت / ٣٤ ، فسلام المجتمع فى مقابلة السيئة بالحسنة ، حتى يصبح العدو كأنه ولى حميم .

تسامح المؤمنين عبر العصور

ومما رآه الأصحاب الكرام من أسوتهم وقائدهم كان التسامح فى حياتهم كالماء والهواء ، ومن ثم خاطبهم الله تعالى ومعهم المؤمنين فى كل العصور ، ليكون التسامح دستوراً لحياة



المجتمعات إلى يوم الدين :

١ - مع المخالفين :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية / ١٤ .

٢ - مع الحاسدين والحاقدين :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة / ١٠٩ .

٣ - عند الغضب :

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ الشورى / ٣٧ .

٤ - عند الأذى :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ الشورى/ ٤٣ .

٥- عند الجزاء :

﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ الشورى / ٤٠ ، فكان الجزاء على التسامح من نفس جنسه .

الحنيفية السمحة

من خلال آيات الله تعالى يظهر لنا المعنى الحقيقى للتسامح ، الذى هو من السماح والسماحة ، والجود والعطاء ، وتسامحوا :



أى تساهلوا .

والحنيفية السمحة : أى ليس فيها شدة ولا ضيق .

وخلاصة التسامح فى :

الجود والسماح والسماحة والعطاء والتساهل فلا ضيق ولا شدة ، فالتسامح هو الرحمة والمغفرة والعفو والصلح والصفح .

ولذلك كان الإسلام دين الحنيفية السمحة فمن التسامح :

لا إكراه فى الدين :

ويشهد التاريخ الإسلامى ، وفى كل الأزمان والعصور ، أن المسلمين لم يفرضوا على أى أرض فتحت حكمهم ، أو أن يجبروا أحدا على الدخول فى الإسلام بل كان أمراً اختيارياً ، انطلاقا من قول النبى ﷺ : « **من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة** » ، أو بالمعنى السياسى اليوم حرية التعبد وحرية العقيدة لغير المسلمين .

احترام حرية الآخر :

فلا غرابة أن نجد من صور التسامح ، ماجعل العقلاء يشيدون به فى عصور الظلمات التى أحاطت بالمجتمعات ، ومن ذلك :

١ - الابقاء على محاكم أهل البلاد المفتوحة .

٢ - إباحة أكل طعام أهل الكتاب .

٣ - إباحة الزواج من أهل الكتاب .



حتى أن هارون الرشيد جعل المدارس كلها تحت مسئولية (حنا بن ماسويه) ، وذلك لأن الإنسان فى الإسلام مكرم بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ الإسراء / ٧٠ .

حقوق المواطنة :

نحن المسلمين لا نرغب أن ينضم إلينا غير المسلمين ، ولكننا مأمورون بصلتهم وبرهم والعدل معهم ومعاملتهم أحسن معاملة من :

- الاحترام المتبادل .
- والعلاقات الطيبة .
- والمصالح المشتركة .

وذلك تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة / ٨ .

مواقف عملية من عهد النبوة

١ - سماحة مع المؤمنين :

(حتى أنت يا ابن السوداء) قالها أبو ذر لبلال ، الذى أتى النبى ﷺ شاكيا ، فأتى النبى بأبى ذر وقال له : « **أعيرته بأمه إنك**

امرئ فيك جاهلية » فبكى أبوذر ، ووضع خده على الأرض طالباً من بلال أن يطئها بقدمه قائلاً : أنت الكريم وأنا المهان ، فأخذ بلال يبكي ويقبل الخد ، ثم قاما وتعانقا ويبكيان .

٢ - سماحة مع المنافقين

نال عبد الله بن أبى سلول من النبى ﷺ ما نال فى حادثة الإفك ، وعندما مرض زاره النبى ، ولما مات صلى عليه ، حتى أن عمر سأل النبى : أتصلى عليه وهو الذى فعل وفعل ؟ ! فقال النبى ﷺ : « **ياعمر إنى خيرت فاخترت قد قيل لى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ... ﴾** التوبة / ٨٠ ، **ولو أنى أعلم لو زدت على السبعين غفر له لزدت** » أخرجه البخارى .

٣ - سماحة مع المخطئين

حينما منع الصديق أبو بكر رضي الله عنه ، الصدقة عن مسطح بن أثاثة ، بعد أن نال من عائشة فى حادثة الإفك ، نزلت الآية الكريمة : ﴿ ... **أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ... ﴾ النور / ٢٢ ، فقال أبو بكر : بلى نحب يا ربنا ، ثم واصل إنفاقه على مسطح رغم ما قال ورغم ما فعل ، فعلمنا الصديق فى هذا الموقف أن التسامح نوعين :

★★ الأول : مع النفس :

بالتألم للفعل وحملها على العلاج ، ونسيان الماضى



المؤلم البغيض .

★★ **الثـانى : مع النـاس** : بأن يتـصـدق عليـهم بأخطائهم ، ويحلل نفسه من آذاهم له ولو كان قاسياً .

فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

❋ ❋ ❋



الحلقة الثانية

هل التسامح هو التنازل ؟

لا تتنازل فى كل المواقف :

هل بعد قول النبى ﷺ : « **بعثت بالحنيفية السمحة** » يطرح مثل هذا التساؤل ؟ ، وهل بعد قول الله تعالى : ﴿ ... **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ البقرة / ١٣٦، يكون هذا التساؤل ؟ .

فالإسلام يدعونا إلى الاعتراف بالآخر ، وهذا الاعتراف عقيدة وإيمان ورسالة ، والإسلام يدعونا إلى الاحترام المتبادل مهما كان هذا الآخر !! .

ومن المواقف العملية لرسول الله ﷺ : مع نصارى الحبشة حينما وفدوا على رسول الله فأكرمهم بنفسه ، وقام على خدمتهم ، ولما سئل قال : « **إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسى** » .

وعندما لطم أبو جهل فاطمة فذهبت شاكية إلى رسول الله قال لها : « **اذهبى لأبى سفيان واشتكى له** » ، وكان مشركا فأخذها وقال لها : الطمى أبا جهل فلطمته ، وعادت فأخبرت النبى ﷺ : فقال : « **اللهم لا تنسها لأبى سفيان** » ، يقول ابن عباس : فما



أظن أن إسلام أبى سفيان إلا استجابة لدعوة الرسول ﷺ هذه .

فالتسامح فى كل المواقف عقيدة راسخة لدى المسلم ، لا تعنى الاستهانة أو التنازل عن حق ، ومن ثم فمقاومة المحتل الغاشم مشروعة ، حتى ولو كنت قويا متسلطا وبيدك الأمر ، فقد كان من توجيه النبى لأصحابه فى القتال ، أى فى موضع السيطرة والقوة ، ألا يحيدوا عن التسامح ، فيقول ﷺ :

« انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة » .

صورة وصورة

وإليكم صورتان :

★★ **الصورة الأولى** : لمشهد قائد الصليبين حينما كان فتح بيت المقدس : ماذا فعل ؟

- قطعت رءوس عدد كبير من المسلمين .
- وأرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق القلاع .
- وعذب آخرون ثم ألقوا فى النيران .
- كانت الطرقات مليئة بأكوام من الرءوس والأيدى والأرجل .
- النساء كن يقتلن طعنا بالسيوف .
- الأطفال يخطفن من أمهاتهم ويقذف بهم من فوق



الأسوار .

■ وتهشم رءوس الأطفال بالأعمدة الحديدية .

■ ذبح السبعون ألفا الذين بقوا فى القدس .

★★ **الصورة الثانية** : عند دخول عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ، دعاه البطريرك إلى الصلاة فى الكنيسة ، ولكن عمر خشى أن يكون فى ذلك نقضا للعهد (عن احترام الكنائس) ، بل خرج وصلى على درجات باب الكنيسة ثم كتب أمرا بألا يقام فى هذا المكان صلاة جماعة ، ولا يؤذن مؤذن ثم بنى مسجد الصخرة ، وذلك التزاماً بالوثيقة العمرية ، وما فيها من حرية فى إقامة دينهم ، ومباشرة كنائسهم .

أين اليوم العالمى للتسامح ؟

فى كل عام وفى يوم ٢٥ / ١٠ تحتفل الأمم المتحدة باليوم العالمى للتسامح ، وقد جاء فى وثيقة الأمم المتحدة التالى :

١ - نحن شعوب الأمم المتحدة علينا إنقاذ الأجيال القادمة من ويلات الحرب .

٢ - نؤكد إيماننا بالحقوق الأساسية للفرد وكرامته .

٣ - اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا فى سلام وجوار .

ويتسآل قلبى قبل عقلى :

١ - ما معنى الدماء السائلة فى فلسطين الحبيبة ؟



٢ – ما معنى أن يكون فى العراق ٦٥٠ ألف قتيل ؟

٣ – ما معنى تزايد القتلى فى البوسنة وأفريقيا وأفغانستان ؟

٤ – هى توجد سماحة بين أفراد المجتمع؟ وبين أفراد البيت من أفراد العائلة ؟ أو بين الأبناء أو بين الأزواج أو بين الأقارب ؟

٥ – ما معنى المؤتمرات الدولية لظواهر العنف الأسرى والمدرسى والحكومى والشوارع ، أليس كل ذلك لخلو المجتمعات من التسامح ؟

فما الحل إذن ؟

يقدمه الإسلام فى ثلاث خطوات :

١ــ كل قريب هين لين :

يقول ﷺ : « **ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم النار عليه ، قال : كل قريب هين لين** » .

٢ ــ المواصلة حتى عند الموت :

موقف نبوى عملى جميل ، فقد عاد النبى غلاما يهوديا أشرف على الموت فقال : « **قل لا إله إلا الله محمد رسول الله** » فنظر الغلام إلى أبيه كأنه يستأذن ، فقال له : أطع أبا القاسم ، فقالها الغلام ، فخرج النبى يقول : « **الحمد لله الذى أنقذه من النار** » .

فمهمتنا انقاذ البشرية وليس انضمامهم إلى الإسلام ، فالغلام كان يحتضر .

٣ ــ سر الحياة :

وهذه قصة طريفة : لإمرأة من الصحابيات الجليلات ، جاءها خُطّاب كثير منهم عمر وعلى ، فرفضتهم جميعا ، وقبلت بـ (طلحة بن عبيد الله) فما السر ؟ ! ، قالت : هذه هو زوجى حقا :

■ إن دخل دخل ضاحكا .
■ وإن خرج خرج باسما .
■ وإن سألت أعطى .
■ وإن عملت شكر .
■ وإن أذنبت غفر .

وكل ذلك هى صور عملية تطبيقية فى تسامح الأزواج ، فهل بعد ذلك يكون ما يطلقون عليه العنف الأسرى !! .

❊ ❊ ❊



الحلقة الثالثة
لقطات موحية
تسامح محمد الفاتح

١ـ بعد سقوط القسطنطينية :

أول خطوة اتخذها بعد إعلان الفتح إعلان نفسه حامى الكنيسة الإغريقية حيث حرم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعاً ، وأصدر مرسوما منح به لرئيس الكنيسة حق التمتع بكافة الامتيازات التى كانت قبل الفتح .

٢ ـ حرب العثمانيين والمجر :

أحد الكتاب المشهورين فى ذلك الوقت سأل رئيس حرب المجر : ماذا تصنع لو انتصرت ؟ فقال : أؤسس العقيدة الرومانية الكاثوليكية .

ثم أرسل نفس السؤال لمحمد الفاتح فقال : أقيم كنيسة بجوار كل مسجد وادع مطلق الحرية لكل فرد أن يصلى بأيهما شاء .

وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ هود / ١١٨ .



تسامح صلاح الدين :

١ ـ ريتشارد والأسرى :

قتل ما بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ من أسرى المسلمين ، ثم أمر بحرق جثثهم ، بعد أن بقر أجسامهم ، أليست هذه الهمجية والبلطجة .

٢ - صلاح الدين الأيوبى :

أعتق فقراء النصارى بدون مقابل ، بل أمر بتوزيع تركته الخاصة بين فقراء المسلمين واليهود والمسيحيين ، أليست هذه هى الجذور الإسلامية ؟ .

من أين أتت هذه الروح ؟

نعم ... من التأسى بالنبى ﷺ ، وهو يعلم البشرية هذه المواقف :

★ ١ ـ التآخى :

الدعوة إلى التآخى بين المهاجرين والأنصار ، وهى أولى خطوات بناء التسامح .

★ ٢ - الرحمة :

بأمره عدم قتل الأطفال والشيوخ والنساء فى الحرب .

★ ٣ - رفض الظلم :

بإقراره لحلف الفضول ، ولو كان قد تم فى الجاهلية قبل الإسلام ، ولكنه إقرار بالمساواة ورفض الظلم .



★ ٤ - الاعتراف بالآخر :

وقد تم ذلك فى صلح الحديبية ، واتباع كل الوسائل المشروعة والسلمية لوقف الحرب ، وضمان حقوق الآخر .

كيف نتسامح ؟

والسؤال المطروح اليوم :

كيف نتسامح ؟ وكيف نحقق التسامح فى مجتمعاتنا ؟

من خلال ما عرضناه نتعرف معاً على الأسس والركائز أوالمبادئ والقواعد التى نحقق بها التسامح فى مجتمعاتنا اليوم وهى :

١- لا نفرق بين الأديان :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... ﴾ الشورى / ١٣ .

٢ - لا نجبر أحداً على الدين :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ... ﴾ البقرة / ٢٥٦ .

٣ - الحوار مع الغير بالحسنى :

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ العنكبوت / ٤٦ .



٤ - لا نفرق بين الأنبياء :

﴿ ... لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة / ١٣٦ .

٥ - نحترم دور العبادة :

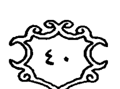
﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ... ﴾ الحج / ٤٠ .

٦ - البر والعدل مع الغير :

﴿ ... وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ... ﴾ المائدة / ٥ .

٧ - الأخوة الإنسانية مع الآخر :

﴿ ... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ الحجرات / ١٣ .



٥- التناصر
الحلقة الأولى
لماذا التناصر ؟

من يريد البلاء إذا وقع بالأفراد والجماعات ؟ فإن هذه الكوارث لا تنتهى بما كسبت أيدى الناس ، فهل تواجه بالجهود المبعثرة ؟ ، وهل يوجهها المجتمع لصالحه بالانقسام والتفرق ؟ ، لا شئ كالتناصر بين المجتمع أفراداً وجماعات يواجهون به المحن ، ويردون به الصعاب ، فينعمون بكل أمان واستقرار .

ومن يدفع الضرر عن المجتمع ؟ إلا بشعور كل فرد فيه بأن الضرر على كل أحد فيه هو واقع عليه شخصياً ! ، بل يمتد بالشعور بكل فرد فى الأمة ، مهما كان مكانه أو حاله أو جنسه ، فالمجتمع الدولى هو الأمة الإسلامية الواحدة ، ولا شئ كالتناصر يحقق ذلك .

ومن يبطل الأذى عن كل فرد ؟ بعد أن أصبح الأذى عنواناً بين الإنسان وغيره ، يمارسه بفنون لا تخطر على البال ! ، ومن يفى بحاجة كل مسلم ؟ بعد أن باتت الحاجة ألما مكتوما ومعاناة يومية ، يراها الناس ولا يتحرك لهم ساكن ! .

ومن يردع الظلم أن يقع على أى فرد من أفراد المجتمع ؟ بعدما



رأينا الظلم كالهواء والظالمين ينعمون بكل راحة ويرتعون بكل واد ، وأنات المظلومين فى كل حين ترجو رحمة الله ، وتأمل نصرة النجباء من المجتمع ، فما كالتناصر بين أفراد المجتمعات يردع الظلم ويأخذ بيد الظالمين ليكفوا عن ظلمهم ؟ .

ومن يقف بجوار كل فرد فى المجتمع وهو يكافح فى الحياة ؟ ، وهو يواجه معارك الحياة ؟ من يؤازره ؟ من يواسيه ؟ من يؤيده ؟ من ينصره ؟ لا شئ سوى التناصر بين أبناء المجتمع ليواصلوا رحلة الحياة ، ويتجاوزوا عقباتها ، ويتخطوا عراقيلها .

ومن يرفع الخذلان عن أبناء المجتمع ؟ ومن يرفع الذل أن يقع بفرد من أفراد المجتمع ؟ بعد أن باتت المهانة مؤامرة كبرى يسعى لتحقيقها فى مجتمعاتنا المتربصون بنا آناء الليل وأطراف النهار .

ومعنا ضوء سارى من كلمات النبى ﷺ وهو يقول : « **من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام** » .

أين هذا التناصر النبوى من المرابطين حول الأقصى ؟ أين هذا التناصر النبوى من الأطفال الفقراء فى مجتمعاتنا ؟ أين هذا التناصر النبوى من البؤساء المحتاجين المظلومين فى مجتمعاتنا ؟ .

لقد كان الرجل يمرض لمرض أخيه ، ويشفى لشفاء أخيه ، فقد عاد قوم مريضا فوجدوه فرحا فسألهم : من أين جئتم ؟ قالوا : من **زيارة فلان وقد عافاه الله ، فقال : ما بى من انشراح إلا أنى**

توقعت شفاءه ، فكان شفائى حين شفاه الله ثم أنشد :

وخصلة كنت فيها غير متهم
عافانى الله منها حين عافاك

كيف يكون التناصر ؟

إذا اقتنعنا بضرورة التناصرفيما بيننا ، وحاجة مجتمعاتنا إلى التناصر، فهذا الحبيب ﷺ يبين لنا : كيف يكون التناصر بين أبناء المجتمع الواحد ؟ ونختار مما أوضحه لنا الحبيب خمسة مشاهد من مشاهد النصرة فى المجتمعات :

★★ الأول : نصرة العرض :

يقول ﷺ : « **من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة** » .

★★ الثانى : نصرة الحماية :

يقول ﷺ : « **من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة** » .

★★ الثالث : نصرة المساعدة :

يقول ﷺ : « **المسلمون تتكافؤ دماؤهم يرد مشدهم على مضعفهم ومتسرعهم على قاعدهم** » .

★★ الرابع : نصرة الظالم والمظلوم :

قال ﷺ : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** » فقال رجل : يا



رسول الله أنصره إن كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : « **تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره** » .

★★ **الخامس : نصرة الحرمة :**

يقول ﷺ : « **ما من امرئ يخذل امرءا مسلماً فى موطن ينتقص فيه عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته** » .

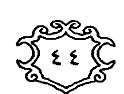
موقف عملى نبوى

لقد كانت بنو بكر فى عهد قريش وكان ذلك اختيارها ، بينما دخلت خزاعة باختيارها فى عهد النبى ﷺ وكان بينهما حروب ، فنقضت بنو بكر عهدها فأتوا خزاعة ليلاً وتقاتلا حتى الحرم .

فأتى عمرو بن سالم الخزاعى رسول الله وهو جالس بالمسجد قائلاً :

يارب إنى ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فقال رسول الله ﷺ : « **نصرت يا عمرو بن سالم** » .



وكان ذلك التناصر سببا فى فتح مكة ، ومن هذا الموقف العملى يتبين لنا كيف أن الإسلام ألغى نصرة العصبية ليحل محلها نصرة المواثيق والعهود ، ونصرة المظلوم والانتصار له ، بغض النظر عن قرابته ، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ... ﴾ الأنعام/ ١٥٢ ، ولقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ... ﴾ المائدة / ٨ .

ومن خلال الموقف النبوى يتضح لنا أيضا كيف أن النبى ﷺ فرق بين التناصر والولاء ، ولا يعنى أبدا أن يكون التحالف والتناصر بمعنى الولاء للدين ، فقد رحب النبى بحلف الفضول لأنه ينتصر للمظلوم فقد اجتمعت القبائل ثم وضعوا طيبا وغسلوا أيديهم فيه ، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ، حتى سموا (المطيبين) أى من الطيب لذلك ولم يكونوا على الإسلام والدين .

ورضى الله عن على رضي الله عنه لما ضرب بالسيف ، دخل بيته ودعا الحسن والحسين وأوصاهما : كونا للظالم خصما ، وللمظلوم عوناً .

❊ ❊ ❊



الحلقة الثانية
التناصر فى كتاب الله

★★ أولا : طلب النصرة :

فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ الشورى / ٣٩ .

فمن أخلاقيات الإسلام كما وردت فى هذه الآية الكريمة إذا تعرض أحد للظلم لا يستسلم ، بل عليه أن يطلب النصر من الآخرين ولا يتهاون فى هذا الأمر لحظة ، ويبذل أقصى ما يملك من جهد ، وعلى من يطلب النصرة منه ، معاونته والوقوف معه حتى يرفع عنه الظلم الواقع عليه ، فطلب النصر من أحد دون أن يقدم النصرة يعتبر لغو ولا فائدة منه .

و﴿ يَنتَصِرُونَ ﴾ من كلمة : انتصار ، ويعنى : طلب النصر ، والبعض فسرها : بالتناصر ، أى على وزن : تفاعل ، بمعنى كل من الاثنين عليه دور ومهمة وليس على جانب واحد ، ومع أن النتيجة فى كل من الأمرين واحدة ، فالمظلوم يطلب النصرة من الآخر ، وعلى الآخر أن ينتصر له ويعاونه ، إلا أن المشترك بين الاثنين الجهد المبذول والفاعلية والإيجابية .



★★ ثانيا : فعليكم النصر :

يقول تعالى : ﴿ ... وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ... ﴾ الأنفال / ٧٢ ، فكما أن المظلوم مكلف بمقاومة الظالم وطلب النصرة ، فالمؤمنون مكلفون بإجابته كما وردت فى الآية الكريمة ، وحتى لا يكون نصر المظلوم على هوى الأفراد ، ومدى علاقتهم ، اشترط القرآن لذلك عدة شروط استنتجها العلماء والمتخصصون من الآية الكريمة ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ... ﴾ الشورى / ٤٠ .

فقالوا أن شروط التناصر بين الناس فى مجتمعاتهم أربعة وهى :

١ - ألا يخرج عن حد العدل .
٢ - ألا ينتهى إلى الانتقام .
٣ - ألا يؤدى إلى الحقد .
٤ - ألا يتجاوز حد العرف .

وبذلك تختفى هذه الصور الغير مقبولة فى مجتمعاتنا من التناصر المغشوش مثل تجاوز الحد بسبب أن الأصدقاء هم الذين ظلموا أو الأقارب أو الأنصار أو الأبناء ، أو الذين تربطنا بهم مصلحة ، أو التناصر المباع برشوة أو مصلحة أو رد اعتبار أو خدمات متبادلة ، ويزداد الأمر شناعة حين يكون الإفراط فى النصرة ، بمعنى ألا يحقق الشروط السابقة ، فهناك فرق كبير جداً بين نصرة المظلوم والانتقام ، وبين نصرة المظلوم والحقد ، وبين

نصرة المظلوم بالظلم وتجاوز العدل .

★★ ثالثاً : أدب النصرة :

يقول تعالى : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ الشورى / ٤١ ، ومع أن معاقبة الظالم من حق المظلوم ، فإن استقرار المجتمع وأمنه والتعايش الطيب بين أبنائه مقدم على الحق الفردى ، ففى نفس الوقت الذى ينتصر فيه المظلوم من الظالم ، وينال حقه كاملاً ، فمن الأدب ألا يتمادى فيتحول إلى ظالم دون أن يدرى ، فإن سيطر على نفسه وصبر ولم ينتقم ، فإن ذلك فضيلة كبيرة ، وهذا هو معنى ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ .. ﴾ .

إن القصاص من الظالم لا يمنع المظلوم من العفو ، فإن ذلك من عزم الأمور الربانية المشددة ، يقول تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ الشورى / ٤٣ ، فلا يكن غفران وعفو إلا بعد الصبر .

★★ رابعاً : الموقف من الظالمين :

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... ﴾ الشورى / ٤٢ ، فقد أجمع المفسرون أن المسئولية الحقيقية تقع على صنفين يجب أن نتصدى لهما ونطهر مجتمعاتنا منهما :

أولاً : ﴿ ... الَّذِينَ يَظْلِمُونَ ... ﴾ بمعنى أن نتصدى للظلم بكل أشكاله وأحجامه بغض النظر ممن يكون ، يستوى فى ذلك



(الشريف والصغير ، الحاكم والمحكوم ، الدول المتقدمة والمتأخرة ، الغنى والفقير ، القوى والضعيف ، الرئيس والمرءوس) .

ثانيا : ﴿ يَبْغُونَ ﴾ بمعنى الاستكبار والكبر والغطرسة والتعالى على الآخرين وأكل الحقوق ، وكل ذلك بالباطل والسيطرة والنهب والاحتلال والتحكم فى إرادة الإنسان وكرامته وحريته وممارسة حقوقه الطبيعية فى الحياة ، أو حرمان البشر من الحياة الكريمة بإفقارهم وإهانتهم والعمل على تخلفهم ليكونوا دائما فى حاجة للأقوى .

خامساً : نصرة يوم القيامة :

يقول تعالى : ﴿ ... **إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ** ﴾ الشورى / ٤٥ : ٤٦ ، فهؤلاء الذين كانوا يظلمون ويبطشون ويعذبون وينهبون ويسيطرون فى الدنيا هم يوم القيامة فى ميزان الله الحق : (الخاسرون) ... أين نجاحاتهم فى الدنيا ؟ أين تقدمهم على الناس ؟ أين تفوقهم المادى ؟ فهم اليوم (الراسبون) (الساقطون) (الخاسرون) ، كسبوا من كل شئ وخسروا أنفسهم ، فخسروا كل شئ فاستحقوا أن يكون

الجزاء من نفس عملهم ، اليوم لا نصرة لهم ، ممن كانوا يتوهمون بهم نصيرا لهم فى الدنيا من أعوان وأنصار وأموال وحكومات وأصدقاء ، حيث لا معين لهم ولا ناصر لهم فى ذلك اليوم كما كانوا فى الدنيا ، وصدق الله ﴿ ... وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾ كل الطرق مسدودة إلا طريق الله ، وقد رفضه بالأمس فاليوم يجازى عدلا من الله ، ألا ينتصر له أحد من دون الله .

كيف نحقق التناصر فى مجتمعاتنا ؟

لا فوز ولا نجاح ولا فلاح فى مجتمعاتنا إلا بالتناصر فيما بيننا ، ولذلك كان سؤالنا : كيف نحقق التناصر فيما بيننا لننعم بمجتمع آمن مستقر ؟ .

وملخص الإجابة فى أمرين :

الأول : التزام المجتمع بنصرة الله تعالى ، ويتمثل ذلك عمليا فى التزامه بثلاثة أمور :

- العمل بطاعة الله تعالى فهذا هو الأساس الإيمانى القوى .
- ثم حفظ حدود الله تعالى وهذا هو برنامج حماية المجتمعات .
- ثم البعد عن المعصية التى تأكل كل ما سبق فينهار البناء وتسقط الأمجاد .



الثانى : التزام أبناء المجتمع بنصرة بعضهم بعضا ، ويتمثل ذلك عمليا فى الالتزام بثلاثة أمور :

- تقديم العون والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وإلا تخلى الله عن مجتمعاتنا .
- ثم دفع الظلم بكافة أشكاله وأنواعه ومنفذيه مهما كانوا وأينما وجدوا .
- ثم ردع الظالم والتصدى له والعمل على وقفه مهما كانت التضحيات المقدمة فى سبيل ذلك .

وبذلك يتحقق لنا نصر الله تعالى : ﴿ ... **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ... ﴾ الحج / ٤٠ ، ومن هنا فقد جاء الإسلام بمعنى جديد تماماً على البشرية فى نصرة الظالم ! كما تبين لنا من قبل من قول النبى ﷺ : « **بحجزه ومنعه عن ظلمه** » ، وهذا هو النصر الحقيقى للظالم لا معونته على الظلم .

■■ وفوائد ذلك لمجتمعاتنا كثيرة . فمن ثمار نصرة الظالم أربعة :

١- إعانته على الانتصار على نفسه بأهوائها ، بدلا من أن ينسى نفسه فيضلها ثم يضل الناس .

٢- مساعدته على الانتصار على شياطين الإنس والجن الذين



يريدون له الغواية والسير فى طريقها .

٣ ـ إنقاذه من عقاب الله تعالى وانتشاله من الخسارة يوم القيامة ، فالظالمون فى عذاب مقيم .

٤ ـ حماية المجتمعات من الجريمة والإثم والعدوان ، وغيرها من الصور المكروهة المذمومة الكريهة .

مراعاة فقه التناصر

ولنجاة مجتمعاتنا وتحقيق التناصر فيما بيننا ، بالأخذ بيد المظلوم ، والضرب على يد الظالم ، يجب مراعاة فقه التناصر ، وهو ليس بدعا وإنما هو جمال الإسلام و عمل الحكماء ، ويتلخص فى أمور ثلاثة :

الأول : مراعاة الأحوال :

بمعنى أن المجتمعات ليست على وتيرة واحدة ، فمنها المتقدم والمتأخر ، والفقير والغنى ، والقوى والضعيف ، والمثقف والأمى ، والواعى والغافل ، وبالتالى فالأسلوب يتغير بما يتناسب مع حال المجتمعات ، حتى تحقق الهدف المنشود .

الثانى : معرفة فقه التغيير :

فقد حدد العلماء والحكماء ذلك من شروط وآداب وواجبات ومراحل ، وهى مفصلة فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى لا يؤدى ذلك إلى ما هو أضر على المجتمع ، وينأى به



عن الاستقرار والأمان وهو ما يطلبه الإسلام من أبنائه .

ثالثاً : الرجوع إلى أهل العلم :

فالمرجعية إلى أهل العلم والعلماء ، ترشد أبناء المجتمع إلى ما يجب فعله وعمله ، وتوحد صور الممارسة فيما ينفع المجتمع ، وتقلل من مظاهر الانحراف عن المنهج القويم فى النهضة والرقى ، وتحل الكثير من المشكلات والأزمات التى تقع فيها المجتمعات .

واجبات التناصر :

وبهذا الفقه تتحقق فى أبناء المجتمعات واجبات التناصر التى باتت اليوم فى حياتنا كالماء والهواء ، والتى هى ضرورة اجتماعية لأنها روح المجتمع وحياته ، وهذه الواجبات لا يختص بها فرد عن فرد فى المجتمع ، ولا تقدم لفرد دون فرد ، بل هى حق لكل فرد ، مهما كان دينه أو ثقافته أوجنسه أو لونه أو فكره أو حزبه أو رأيه ، وتدور حول خمس واجبات لكل فرد :

١ - إرشاده إن ضل عن الحق ودعوته إلى التعقل .

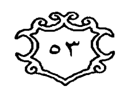
٢ - حجزه إن تطاول على حقوق الآخرين .

٣ - الدفاع عنه إن هوجم من خصومه .

٤ - القتال معه إذا استبيح بعد تثبت .

٥ - عدم تركه فى معارك الحياة وحده .

ومن أوجب واجبات اليوم على أبناء المجتمع الإيمانى على

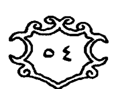


مستوى الأمة الإسلامية ، فك أسرانا المسلمين فى كل مكان ، فى فلسطين والعراق وأفغانستان وفى جميع بلداننا ، لننعم بالمجتمع الدولى المستقر الآمن ، يقول عمر : (لفك أسير مسلم أحب إلى من أن أتصدق بجزيرة العرب) ، فمن لعدد غير محصور من كثرته اليوم ؟ وليس لأسير واحد !؟ .

ويقول ابن عابدين : (إذا سبيت مسلمة بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر) فمن للأسيرات فى سجون إسرائيل اليوم ؟ .

ويقول الإمام مالك : (يجب على المسلمين فك أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم) فأين تذهب اليوم أموال المسلمين ؟ ولا تعليق .... ! .

***

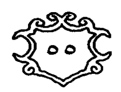


٦ـ التنافس

الحلقة الأولى

كلمـة لهـا مـدلولهـا عنـد رجـال الأعـمـال وعنـد الاقتصاديين وعند الاجتماعيين ، فما معناها الحقيقى ؟ وما مفهومها ؟ وكيف تناولها الاسلام ؟، ولماذا جعلها أساسا للأفراد والمجتمعات معا فى رحلة الحياة ؟ ، وكيف تكون فى حياة كل منا دافعاً للانطلاق والسمو والحركة والتقدم ؟ ، وهل المطلوب التنافس الايجابى أم الصراع ؟ وكيف نحقق التنافس المتوازن ؟ وما طريقنا للتنافس الناجح ؟ ، وذلك على كافة المستويات : فـى النفس والمجتمـع وفـى الأمـة والعـالم أجمـع .

أسئلة لن تتوقف ما دمنا فتحنا الحديث عن التنافس ، ومـا هذا الكم الهائل من الأسئلة إلا لكثرة اللغط حول هذا الموضوع ، نسأل الله أن يوفقنا إلى تجلية الأمر وإيضاحه ، كما أراد الإسلام بمفاهيمه الجميلة فى حياتنا بدون تعقيد أوغموض ، وهى لا تحتاج إلى أقوال بقدر ما تحتاج إلى أعمال وممارسات وتطبيقات لصناعة **مجتمع آمن مستقر** .



اجعل أيامك أيام متاجرة ومنافسة

قال بعض السلف : إذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ... وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾المطففين/ ٢٦ ، فالتنافس الحقيقى معناه التسابق والتغالب وسمى بالتناقس والمنافسة لأنه يرجع إلى النفس ومجاهدتها والانتصار عليها ، ولهذا الانتصار حلاوة لا تضاهيها حلاوة تنسيك كل شئ حتى استقبال الموت يصبح فوزا وانتصاراً وربما يكون هذا سر قول الصحابى عند استقباله الموت : فزت ورب الكعبة ! ، وبالتأمل فى موقف أبى مسلم الخولانى نقترب أكثر من حقيقة هذا المعنى : عندما كان يقوم بالليل فإذا تعبت قدماه ضربها بيديه وقال :

(أيحسب أصحاب محمد أن يسبقونا برسول الله والله لنزاحمنهم عليه فى الحوض) .

فهل معنى ذلك أن يعتزل من أراد التنافس الدنيا ، ويقبل على الآخرة دون عمل ، بحجة أن الدنيا ليست مجالا للتنافس ؟ ، ليس هذا ما نعنيه بل إن الدنيا تأتى وهى راغمة لمن أراد الآخرة بسعيه فيها ، وأراد بجهده ليلا ونهارا الآخرة ، وهذا هو التنافس المتوازن .

وليس معنى التنافس أن ينسى الآخرة وتصبح الدنيا أكبر

همه ومبلغ عمله فينافس الآخرين من أجلها ، فأى همة سافلة هذه ! ، أكل ونوم وشرب ! ، وأى طموح فى ذلك ! حينما لا يراوح مكانه ، فيتعب ويكد ويشقى ولكنه خامل متوقف لا حظ له فى الآخرة !! .

يقول الأصمعى : كنت أطوف بالبيت فوجدت شخصا متعلقا بأستار الكعبة وهو يدعو بإلحاح ويبكى : اللهم إنى أسألك ميتة أبى خارجة ، ويكرر هذا الدعاء ببكاء ، فسألته : كيف كانت موتة أبى خارجة ؟ قال : إن أبى خارجة أكل حتى امتلئ ، وشرب حتى ارتوى ، ونام فى الشمس ، فمات شبعان ريان دفآن .

بالله عليك هل فهمت ؟ هل تحب أن تموت ميتة أبى خارجة ؟ أين الطموح ؟ أين الهمة ؟ أين النشاط ؟ أين التنافس الناجح ؟ :

إذا ناضلت فى شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فموت المرء فى شئ حقير
كموت المرء فى أمر عظيم

يقول على بن أبى طالب : خير الهمم أعلاها ، ويقول : من شرفت همته عظمت قيمته .

من معانى التنافس العملية

التنافس حالة فطرية طبيعية ، ينشطها وينميها ويدعمها العقل



والنضج والرشد ، ولذلك المتنافس إنسان لديه طاقة عالية وكفاءة فائقة ، إذا تواجد فى مجتمع متقدم تنمو طاقاته وتعلو قدراته ، وتزداد فى جو التنافس الحقيقى بين أفراد المجتمع النجباء ، وعلى العكس تماما تخبو قدرات المتنافس بل تموت فى المجتمع المتخلف الراكد المتجمد .

فحياتنا فى حقيقتها من أجل أن تفجر هذه الطاقات فى كل منا ، ومن أجل أن تنطلق هذه الكفاءات فى داخلنا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتنافس وفى أجواء التنافس .

وقد جاءت الآيات لتأكيد هذه المعانى فى المجتمعات ، يقول تعالى : ﴿ ... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾المطففين/ ٢٦ ، أى فى أعمال الخير ، ويقول تعالى : ﴿ ... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ... ﴾ المائدة / ٤٨ ، أى يصل كل واحد قبل الآخر إلى الخيرات ، ويقول تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ المؤمنون / ٦١ ، أى المنافسة تعتمد على ركنين : المسارعة والمسابقة ، فالتسارع همة وحركة ونشاط وسعى ، والتسابق رغبة قوية فى الوصول أولاً .

وهذا ما يطلبه الإسلام من أبنائه : فدعا إلى التنافس فى الاتجاه الإيجابى الناجح ، ففى الصلاة تنافس على الصف الأول ، وفى القتال تسابق فى حمل الراية ليكون الأول ، وفى آداء الحقوق والخدمات تسابق ليضمن بقاءه دائما فى المقدمة ، فتسرى ثقافة



التسابق بصورة عملية فى المجتمع ، لتعود عليه بأجمل الثمار على اختلاف الأصعدة .

فالتسابق فى معناه التغالب ، على وزن تفاعل ، لأنه جهد من الفرد كما رأينا والمجتمع معا ، وفى آن واحد ، وكما قال الراغب : للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم .

وإذا كان من تعريفاتهم الحديثة للتنافس : أنه عملية للحصول ، على ما يسعى الآخرون للحصول عليه ، فى الوقت ذاته ، فهو سعى للحصول على هدف مشترك فى ذات الوقت ، فإن ذلك يستوجب على المجتمع أفرادا وجماعات ومؤسسات ومنظمات وجمعيات ، الاعتماد على ثلاثة **قواعد للتنافس فى المجتمع :**

١ ـ تنمية قدرات الأفراد .

٢ ـ تنظيم عملية التنافس .

٣ ـ التغلب على العقبات.

وعلى المجتمعات اليوم أن تتصارح وفق هذه القواعد ، هل التنافس المنتشر فيها نظريا وليس له فى الواقع وجودا ؟؟ وإن كان كذلك فكيف تغيره إلى التنافس الحقيقى العملى ؟؟ وما الموجود لدى المجتمعات : تنافس أو لا تنافس ؟؟ هل هو التنافس المنشود المثالى أو هو شئ آخر أطلقنا عليه التنافس تجاوزا ؟؟ ، ولعلنا بالحوار الهادئ معا نصل للإجابات ، ولنبدأ بأولى هذه الخطوات ، وهى : التنافس فى الإسلام .



التنافس فى مفهوم الإسلام

١ ــ المسارعة فى الخير :

يقول تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران / ١٣٣ ، ويقول تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ... ﴾ الحديد / ٢١ ، والسؤال المطروح الآن لماذا قدم الله المغفرة عن الجنة ؟ ، قدمها الله تعالى ليفتح الأبواب أمام المتسابقين ، فالمغفرة سلامة ، كما قال العلماء ، أى اجتهاد وسعى وتسابق ومبادرة وتقوى وتجاوز عقبات ، أما الجنة فهى غنيمة ، والسلامة دائما قبل الغنيمة تطلب ، فهى من أسبابها وطرق الحصول عليها ، والظفر بها .

٢ ــ الصدق فى الإسراع :

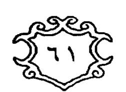
يقول النبى ﷺ : « **من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل** » ، أدلج أى أسرع فى الطاعة ، والمنزل أى الهدف ، ثم يقول النبى ﷺ : « **ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هى الجنة** » ، ومن أجمل الشروح ما قاله أحد الصالحين حينما سأله رجل عن الحديث : « **من قال لا إله إلا الله دخل الجنة** » فقال : نعم ولكن للمفتاح أسنان وأسنان مفتاح الجنة هى أوامر الله تعالى ، فإذا جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك ، فهل كل منا يمتلك هذا

المفتاح ؟ فكما أن المفاتيح الخاصة ببيوتنا والعمل والأشياء الغالية والثمينة نحتفظ بها فى أيدينا ، فهل أضفنا لها مفتاح الجنة ، وهل تأكدنا من وجود الأسنان ؟ .

٣ ــ الخاسر من كان يومه كأمسه :

﴿ ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه / ١١٤ ، كان دائما ما يرددها النبى ﷺ ، وكان من دعائه : « **واجعل الحياة زيادة لى من كل خير** » ، ففى كل لحظة زيادة ، وكان عمر يأخذ بيد الرجل ويقول له : (هيا نزداد إيماناً) ، فالخاسر الذى لا يزداد فى لحظاته ، وكان عمر بن عبد العزيز يكرر دائماً : (من استوى يوماه فهو مغبون) ، فبالله عليك كيف بمن كان فى هبوط دائم وانحدار مستمر ؟! .

❊ ❊ ❊



الحلقة الثانية

كيف نتنافس ؟ ومتى يتحول التنافس إلى صراع ؟ وكيف نتخطى العقبات ؟ وما صور التنافس الإيجابى الناجح فى حياة مجتمعاتنا ؟ وما السر فى بغض المتنافس وعداوته ؟ وكيف يتحقق التنافس فى مجتمعاتنا ؟.

كيف نتنافس ؟

١ـ المبادرة بالأعمال من أجل حياة كريمة :

كلمة المبادرة وردت فى حديث النبى ﷺ وهو يحثنا على التنافس فى الحياة ، لصناعة حاضر كريم سعيد ناجح ، يقول النبى ﷺ فيما رواه الترمذى : « **بادروا بالأعمال سبعا : هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً ، أو مرضا مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر** » ، فى دعوة صريحة من النبى للمنافسة عن طريق المبادرة بالأعمال وليس بالأقوال ، بكل أنواع الأعمال المتاحة للإنسان ، من أجل حياة هانئة ، قبل أن يداهمه مرض أو فقر أو عجز أو هرم أو موت أو الدجال أو الساعة ، فهذه سبعة أسباب حقيقية تعيش بيننا وفينا تدعونا للمبادرة إلى التنافس



في الأعمال .

٢ - التعجل بالعبادات للظفر بالثواب :

التعجل ليس معناه التهاون في آداء العبادات وإنما التعجل هو أداؤها وفق ما أمر الله على أوقاتها بلا تسويف أو تأجيل أو نسيان أو تعطيل ، لضمان ثوابها واستحقاق أجرها ، فهو لا يدرى ما يتعرض له في رحلة الحياة ، يقول النبي ﷺ : « **تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له** » وكذلك سائر العبادات .

٣ - المسارعة في الحقوق كراهية نسيانها :

فيما روى البخاري حديث النبي ﷺ : « **أن رسول الله قام سريعاً فدخل على بعض نسائه ثم خرج ورأى أن وجوه القوم من تعجبهم لسرعته فقال : ذكرت وأنا في الصلاة تبراً (ذهباً) عندنا فكرهت أن يمسى أو يبيت عندنا فأمرت بقسمته** » ، وهكذا يكون التنافس فيما بيننا في أداء الحقوق بالمسارعة حتى يتعجب الناس من سرعتك ! .

٤ - الأول في كل شئ حتى في الجنة :

فيما روى البخاري ومسلم قول النبي ﷺ : « **أول زمرة يدخلون الجنة على صور القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء إضاءة** » ، فهو الحرص على أن تكون الأول دائما ، ولا ترضى به بديلا ، فإن لم يتحقق لك ذلك فلا ترضى إلا أن تكون الثاني وما بعد ذلك فهو خارج المنافسة ، بهذا الحرص يكون



جمال الجزاء فى الجنة إشراقاً وإضاءة ونوراً ، يقول ﷺ فيما رواه الإمام أحمد : « **إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع** » ، وهذا هو طريقك إلى النجم الطالع ، بالتنافس على مرتبة الأول أو الثانى وفقط .

الطريق إلى التنافس

ما أحلى طريق التنافس ، فهو روح الحياة ، والوصول إليه سهل وميسر ، لا تعقيد فيه ولا غموض ، إنه بأمرين اثنين :

★★ أولا : بالانشغال بالآخرة :

فهى المحرك الدائم للتنافس ، والانشغال به لا يتحقق إلا بتعظيمها والإقبال عليها والنظر الدائم لأمرها ، وذلك مع كل حركة سعى ، أو خلجة جهد ، أو نبضة جهاد ، أو نفس عمل ، وهذا الحال ليس من المحال لأنه منة من الله وفضل لمن اجتهد أن يصل إلى طريق التنافس ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ ص / ٤٦ ، أى من الله عليهم بذكر الآخرة والانشغال بها عما سواه ، فهل أنت مستعد للانشغال بربك والحرص على ما يرضيه ؟.

يقول بعض السلف : من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه ، ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه .



★★ ثانياً : بالتشمير للجنة :

حاولت أن أبحث عن عنوان فما وجدت أفضل من عنوان النبى ﷺ ، حينما خرج على أصحابه قائلاً : « **ألا من مشمر للجنة ؟ فإنها ورب الكعبة : نور يتلألأ وريحانة تهتز ، وزوجة حسناء ، وفاكهة نضيجة ، وقصر مشيد ، ونهر مطّرد** » ! ، فقال الصحابة : يا رسول الله نحن المشمرون لها ، فقال ﷺ : « **قولوا : إن شاء الله** » .

والتشمير للجنة يا مشمرون إن شاء الله ، يكون بالتنافس لها ، وقد اتفق أهل التربية على قولهم : (إذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة) ، بل حدا ببعضهم أن يقول : (من نافسك فى الآخرة فنافسه ، ومن نافسك فى الدنيا فألقها فى وجهه) ، ولا يكون ذلك واقعاً لك فى الحياة إلا بقولهم : (دع عنك موازين الناس) ، فالميزان الربانى لا يخطئ أبداً ، يقول تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الحديد / ٢١ .



قواعد على طريق التنافس

قبل أن نتحدث عن العقبات فى طريق التنافس هناك عدة قواعد نريد أن نتفق عليها حتى نسير على هدى ونور ، من هذه

القواعد :

١ـ التنافس ينبع من داخلنا :

فمن داخل أنفسنا نتحرك ، ولو نجح الإنسان فى تنافسه مع ذاته ، لانطلق فى تنافس مثالى شريف ناجح ، ومن علامات نجاح الإنسان فى تنافس الذات أن يتقدم فى مظاهر حياته أكثر فأكثر ، ولا تمر عليه لحظة إلا وفيها له زيادة ، فدائما يقدم لنفسه الأفضل من كل شئ ، وبالتالى لا يقدم للآخرين إلا الأحسن والأجمل والأجود .

٢ـ التنافس الشريف هو القائم على القيم :

تظهر قيم التنافس واضحة أمام الشهرة والمال ، لأنهما دائما يصاحبان التنافس ، فإما يجعلانه شريفاً أو مذموماً ، أو لا تنافس بالمرة ، ولذلك تحدد أن يكون التنافس الشريف فى اعتماده على القيم ، فما فائدة شهرة أو مال وظفهما المتنافس فى الطالح والأسوأ ؟؟ ، أو منعاه من إيتاء حقوق الناس ؟؟ ، أو صورا له أن الحرام حق ، فوقع فى الحرام معتقداً أنه حلال ؟؟ .

٣ـ التنافس المكروه لا حدود لشره :

صور التنافس المذموم أو المكروه صور عنيفة ، وكريهة ، ومدمرة ، ولا أدرى كيف يطيق أصحابها تحمل ذلك ؟؟ ، إنها طاقة فوق البشر ، لابد أن الشيطان يعاونهم ، وما كيد الشيطان إلا ضعيفا ولذلك دائماً هم يخسرون ، رغم انتفاشهم ، لأنهم



كالبالونات الهوائية سرعان ما تختفى ، فتجدهم يدمرون كل من حولهم ليعلو هم ! وهو فى الحقيقة علو زائف ، وتراهم يتعاملون كأسماك القرش والحيتان يأكلون كل ما يصادفهم ! ، ولا يدرون أن فى هذا الأكل اللذيذ نهايتهم ، ويفعلون كل سوء وتعدى بلا رحمة أو هوادة ! ، لا يهدئون ولا يستريحون ! ، ولا يعقلون أنهم حرموا أنفسهم من راحة الدنيا ونعيم الآخرة .

كيف تتغلب على العقبات ؟

إن ما نراه من صور بغيضة فى طريق التنافس ليست من صنع التنافس إنما لإخفاق الكثير فى مواجهة العقبات أمام التنافس ، ومن هذه الصور :

١ـ حب التكاثر : فترى الإنسان حريصا على إيثار نفسه على حساب غيره ، ولو دعاه لذلك أن يتطاول بشتى الطرق ليصل إلى هدفه بالإكثار والتفاخر مما يلهيه عن التنافس الحقيقى .

٢ـ حب المال والولد : فتراه لاهيا عن قيم التنافس الشريف ، والسبب فى ذلك المال والولد كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ** ... ﴾ المنافقون / ٩ .

٣ـ حب الدنيا : من أجل الدنيا لا الآخرة ، يقول تعالى : ﴿ ... وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ المنافقون / ٩ ، فالتجارة الحقيقية مع الله يقول ﷺ : « **إنما أخشى أن تبسط عليكم**

الدنيا كما بسطت على الذين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

ولذلك يجب على السالك فى طريق التنافس أن يحذر العقبات ، فتحظى مجتمعاتنا بالإستقرار والأمان ، وقد أجملها خبراء الطريق باختصار فى التالى :

١ - الغفلة :

وهى انشغال القلب بشواغل الحياة ، فيبعده عن الانشغال بالآخرة ، يقول ابن القيم : خراب القلب بالأمن والغفلة وعمارته بالخشية و الذكر ، والعلاج : بالدعاء والذكر وبعث الايمان فى كل أعمالنا .

٢ - اتباع الهوى :

وهو داء لا علاج له يصيب القلوب والأجساد معا ، ويلغى الربانية فى حياة الانسان .

يقول تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ . . . ﴾ الفرقان / ٤٣ .

والعلاج : بإحياء الربانية والتوجه الكامل لله تعالى .

٣ - الانهماك فى تحصيل المال :

حيث لا مجال ولا مكان للانشغال بربه ، وفى هذا فساد للقلوب وانحطاط فى الهمة ، والعلاج : بالانشغال الدائم بالآخرة والتشمير للجنة .



٤ - الترف الزائد وكثرة التمتع :

فكم منع الترف الزائد الكثير من تنافس يكون لحسابهم فى الآخرة ظانين بالإكثار من التمتع والتنافس من أجل ذلك نفعا لهم عند الله ، والعلاج : فى الورع وخلاصته أن يترك أو يقلل الانسان كثيرا من المباح مخافة أن يقع فى المحظور ، ويجعل ذلك سدا بينه وبين الحرام .

٥ - التسويف :

وهو من الأسباب التى أوردت الكثير فى النار ، يقال أن أكثر دعاء أهل النار « **يا أف للتسويف** » ، حسرة وندامة حيث لا تنفع حسرة ولا ندامة ، والعلاج : فى المبادرة والمسارعة والتعجيل بالعبادة قبل فوات الأوان .

٦ - الركون إلى الدنيا :

بمعنى الاعتماد عليها والاستعانة بها ، وترك عبادة الله تعالى ، والراكن إليها أطلق عليه النبى ﷺ لقب المتعوس فقال : « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة** » ، وفى الركون إلى الدنيا قسوة القلب ورقة الدين .

والعلاج : بالقرآن الكريم تلاوة وفهماً وتدبراً وعملاً ونشراً ، فقد كان يأتى رجل يومياً عند باب عمر فيعطيه فسأله عمر يوما أأنت مهاجر إلى الله أم إلى عمر؟ ، فغاب زمنا ثم رآه عمر فقال له : افتقدناك ، فقال لقد أغنانى القرآن عن عمر ، فسأله : وكيف ؟



قال : لقد وجدت فيه : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ الذاريات / ٢٢ ، فقلت : رزقى فى السماء وأبحث عنه فى الأرض ! ، انظر كيف دفعه ذلك للاجتهاد والعمل والاعتماد على رب عمر ! وليس عمر! .



الحلقة الثالثة

كيف نحقق التنافس فى حياتنا ؟

بعيدا عن الصراع القاتل ، فالتنافس المكروه يجعل الانسان يكره المنافس له ، وفى هذا الشر كله ، حيث يغتاظ ويحسد ويغار ويؤذى ويمقت ، وكل ذلك وغيره تحت مسمى التنافس والتنافس منه براء ، يقول تعالى عن أول تنافس حدث على الأرض : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة / ٢٧ ، فلماذا يشوه المتنافسين شخصية بعضهما ؟ أو ينالوا من سمعة بعضهم بعضاً ؟ ، أو يعرقلوا أعمالهم ؟ ، ولماذا يتعدون على بعضهم البعض بسبب أنه متفوق أو ناجح أو سابق أو مشهور ؟ ، وفى كل ذلك أضرار بالمجتمع لا تعد ولا تحصى ، حيث تؤدى إلى صراعات بين أفراد المجتمع ، وتصنع عداوات كان المجتمع فى غنى عنها ، ثم تفرق بين أفراده وشرائحه ومؤسساته وجماعاته ومن هنا يكون الانهيار السريع للمجتمعات .

ولو أننا رجعنا فى صد هذا الانهيار ، إلى إسلامنا الجميل لأخذنا بلطف إلى آفاق التنافس الايجابى ، فى قوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾



الإسراء / ٢٠ ، بل إن التنافس الإيجابى هو سنة الحياة يقول تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . . . ﴾ الملك / ٢ ، فالحياة مخلوقة لهدف واضح ، يسلم به كل الناس ، ولكنهم عندما تحتك الأمور الحياتية ينسون هذه الحقيقة تماما ، ويتعاملون بأخلاق أخرى ، لا يعرفها أحد وما أنزل الله بها من سلطان ، وبهذا الفصل بين الحياة والعمل الحسن تنطلق شكاوى الناس من تردى الأخلاق وانتشار الفساد ، ولا يدرون أن الفساد المنتشر على الأرض من كسب المجتمعات أى بأيديهم وليس بيد غيرهم .

ولذلك قبل أن نجيب عن تساؤلنا نتعرف أولاً على التنافس الحياتى الذى جعله الله مشروعا ورغب فيه ، وجعله من أمور الفطرة البشرية ، والضرورة اليومية ، والذى نجمله فى ثلاثة أمور :

١ – من يكره التفوق : ؟

التفوق غاية كل إنسان وهو أمر طبيعى وفطرى ، يجرى من الإنسان مجرى الدم ، ففى علم النفس البشرية أن كل إنسان يحب ألا يسبقه أحد ، وأن ما عنده هو أفضل شئ لدى البشر ولا يتفوق عليه فيه أحد ، فالإسلام حين أثبت ذلك للإنسان وضع من الضوابط التى تهذبه وتحقق ثمرته ، فدعا إلى الإرادة والتصميم لمن أراد أن يحقق ذلك ، فبالعزم تنال المقاصد ، وليس

بالكسل والخمول ، ولذلك فلا يوجد من يكره التفوق ، ومن يكره التفوق فليس طبيعيا فى الحياة .

٢ - هل التنافس حرام شرعا ؟ :

لقد تبين لنا مما سبق من أدلة شرعية بما لا يدع لأحد قيد أنملة من شك ، فى أن التنافس أمر به الشرع ووضع له آدابا وحدد له أخلاقا تضمن له النجاح والاستمرار ، سواء كان بين الأفراد أو المجتمعات ، أو بين الأفكار والتوجهات ، أو بين القيادات والكفاءات ، أى فى كل مجالات الحياة .

٣ - لماذا يكره الناس المنافس لهم ؟ :

لماذا يكره الناس المنافس إذا ظهر لهم ؟ ، ولماذا يمقت الناس المنافس فى كل شئ ؟ ، ولماذا يكره المتنافسون بعضهم بعضا ؟ ، ولماذا يسئ بعضهم إلى بعض بل يؤذى بعضهم بعضا ؟ فى الوقت الذى يطالب فيه الاسلام المؤمن بألا يحسد ولا يغتاظ بل يغبط أخاه ، بمعنى يفرح لكل خير يلحق بأخيه .

كيف نحقق التنافس فى الحياة ؟

١ - أول أبواب التنافس هو الإجابة على هذا السؤال :

ماذا تفعل إذا أردت التفوق ؟ وماذا تصنع إذا أردت ألا يتعديك أحد ؟ ... نعم أول الأبواب أن تضاعف الجهود ، يقول تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾

التوبة / ١٠٥ ، ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ القصص / ٥٥ .

ومعنى ذلك :

على العاملين المجتهدبن الناشطين ألا يعبئوا بما يشغلهم عن انجازاتهم وتقدمهم .

وإن واجهوا مشكلات أو من يعرقل تقدمهم فعليهم التمسك بمنهجهم : ﴿... سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾القصص / ٥٥ .

وألا ينشغلوا بالمهاترات التى يراد بها عرقلة الطريق ، ولو فعلوا ذلك فإنهم يحققون هدف المغرضين ، ويتأخرون فى مسيرتهم .

وأن يتمسك كل واحد بنهجه مادام لا يصطدم بالشرع ﴿ ... لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ... ﴾ القصص / ٥٥ ، بعيدا عن سفاسف الأمور .

بل علينا جميعا نشر ثقافة التنافس التى تعمل على تطوير المجتمع ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وحزبيا .

٢ - ومن صور التنافس الإيجابى أربعة صور عملية :

أولا : الاعتراف بالمنافس لا نتجاهله ولا ننكره بل نحترمه ونقدره.

ثانيا : التفوق ببذل الجهد وليس على حساب المنافس بتشويهه

والنيل منه.

ثالثا : التعاون المشترك خاصة فى القضايا المشتركة .

رابعا : الاهتمام بعظائم الأمور والابتعاد عن التافه والسفاسف والفرعيات .

٣ - ومن أنواع التنافس فى حياتنا الكثير نجملها فى ثلاثة أمور:

الأول: فى مرضاة الله تعالى : وهو التنافس الذى يدوم حين يكون لوجه الله لا لأحد سواه ، وقصة الطبرى مشهورة حين هجم عليه الروم فسرقوا جواميسه فجاء العبيد يقولون : ذهبت جواميسنا فقال لهم : وأنتم اذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله ، فقال الابن : أفقرتنا ، فقال بشير الطبرى : اسكت إن ربى اختبرنى فأردت أن أزيده ، وهكذا يعلمنا بشير أن نزيد الله إذا ابتلانا فى أموالنا أوصحتنا أو أزماتنا أو عمرنا أو قدرتنا أو أبنائنا أو أحبابنا .

الثانى : فى طاعة الله تعالى : كان بلال الأول دائماً حتى سأله النبى ﷺ قائلا : « **يا بلال حدثنى بأرجي عمل عملته فى الاسلام إنى سمعت دف (صوت) نعليك بين يدى فى الجنة** (أمامى) » فقال بلال : ما أذنت إلا وصليت ركعتين وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله على ركعتين فقال رسول الله : « **فبذلك** » .

وتتنوع الطاعات من ذكر وسجود وصلاة وقضاء حوائج الناس ، وفى كل يكون نجاحها بالتنافس ، فهذا الذى يسأل النبى مرافقته فى الجنة ليكون الأول فيدله على التنافس بالطاعات فيقول له : « **أعنى على نفسك بكثرة السجود** » ، وقوم يأتون النبى يقولون : ذهب أهل الدثور (الأموال) بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم ، فقال ﷺ : « **أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة فى أهله فهى له صدقة** » .

ثالثاً : فى الجهاد فى سبيل الله : الفقراء الذين ردوا عن الجهاد أى خرجوا عن مدار التنافس فقال لهم النبى : « **لا أجد ما أحملكم عليه** » ، فرجعوا وهم يبكون ، صور لنا القرآن هذا الموقف بمشاعره وأحاسيسه فقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾ التوبة / ٩٢ .

وأخيرا :

تختفى هذه الصور المغلوطة للتنافس الذى بات عند الناس اليوم من الأمور الطبيعية مثل :

★★ **الرجل الصاروخ :** الذى يدمر كل ما يقابله من أجل



الحصول على مصلحته فلا بصر له به يرى ولا سمع له به يعى فهو صفيح لا مشاعر له ولا يعرف إلا تدمير كل من ينافسه ! .

★★ **أو مثل الرجل الحوت** : الذى يبتلع كل ما يقابله ليضمن حصوله على ما يبغى فلا عقل له ولا حكمة معه ، بل كل ما يعرفه الابتلاع حتى ولو كان من ينافسه أحب أحبابه أو شقيقه أو أبيه ! .

★★ **أو مثل الرجل الثعبان** : الذى يتلون بكل لون ويزين كل قبيح ويقرب كل بعيد ويعقد لك كل الاتفاقيات ويتصل نيابة عنك بكل الجهات ويفاجئك فى النهاية أن كل مافعله كان لمصلحته ، وتفاجئ أنت بخسارتك الكبيرة ، وتسأل نفسك فى حسرة وندم أين نعومته ؟ أين ذوبانه فى شخصيتى ؟ أين تسابقه من أجلى ؟ أين منافسته الكثيرين فى خدمتى ؟ .

هؤلاء يسمونها تنافس وما ذلك إلا خروج عن طبيعة الإنسان الذى كرمه الله وفضله على المخلوقات ، ويبقى التنافس الإيجابى فى حياتنا دافعاً ، ليعيش المجتمع كله فى أمن واستقرار .

❊ ❊ ❊



٧ـ التفاهم
الحلقة الأولى
هل نحن متفاهمون ؟

التفاهم بين الناس يزيد المحبة بينهم ويقوى أواصر الرابطة ، ويعلى من التقارب العاطفى بين أفراد المجتمع ، ويظهر نجاح التفاهم بالإنصات والإصغاء إلى كلام الآخرين ، **وقد قالوا فى معنى الإنصات : هو حمل نية العمل لما يقال** ، لك أن تتصور لو أن هذا المعنى انتشر بيننا كأفراد فى المجتمع ، ماهو أثره على المجتمع والكل فيه يفهم مرامى الكلام وعلى استعداد لتقديم كل عون ، وتحويل الكلمات والألفاظ إلى واقع حى ، وبث الحياة فى الشعارات حتى تتحقق آثارها بين الناس .

بهذا التفاهم تقترب المساحات والمسافات بين أفراد المجتمع ، حيث لا فروق بين آباء وأبناء ، وأزواج وزوجات، ومدراء وعاملين ، وقادة وأتباع ، فإذا بالأداء يتحسن وبالعمل يتطور ، وبالعلاقات تتجمل ، فى أبهج حياة وأسعد لحظات .

فلماذا نخرج عن هذه الأجواء النادرة إلى أجواء مشحونة بالتوتر والانفعالات ، تصغر الكبير ، وتورط الهادئ ، وتحول حياتنا إلى حرائق نحن الذين نشعلها ، بعدم تفاهمنا وتفهمنا



كأفراد لبعضنا بدلاً من الصراع والانشقاقات والتشنجات والانفعالات !! .

فالتفاهم يجعلنا منتبهين ومركزين وواثقين ، ويجنبنا الوقوع فى سوء الظن أو الفهم الخاطئ أو السيطرة بدون دليل .

فالتفاهم يعنى بعد هذا العرض :

(الأجواء الودية الصافية التى يسودها الاحترام والسكينة والتحلى بالصبر وسعة الصدر ، والقدرة الجيدة على تجنب محاولات الضغط والسيطرة ليحل محلها التحابب والتقارب المتبادل بين أفراد المجتمع) .

فى كثير من لحظات حياتنا اليومية نشعر بخطأنا فى فهم الناس ، أو نحس بأننا قد أسأنا فهم مقاصدهم ونواياهم ، وبالتالى فقد نسئ تقديرنا واحترامنا لهم ، ويتدخل الشيطان لتعميق الفجوة والجفوة معاً ، وهو العدو المتربص الذى يؤرقه تفاهم الناس فى مجتمعاتهم !! ، وعليه كان الواجب علينا أن نبحث فى أصول التفاهم لنعمل بها ونمارسها فى مجتمعاتنا .

❊ ❊ ❊



أصول التفاهم

أولاً : حسن الظن :

إن حسن الظن يؤدى إلى سلامة الصدر ، وتدعيم روابط الألفة والمحبة والتفاهم بين أبناء المجتمع ، فلا تحمل الصدور غلاً ولا حقداً ، فالرسول ﷺ يقول : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً** » .

ومما يعين على حسن الظن الدعاء ، وأن تضع نفسك بمنزلة الغير ، وأن تحمل الكلام على أحسن الوجوه ، وأن تفتح أبواب الأعذار لغيرك ، وأن تتجنب الحكم على النيات أو تعامل الناس بحكم مسبق .

والذين يسيئون الظن ويقعون فى هذا المستنقع ، إما لقلة الإيمان أو عدم شعوره بالثقة فى نفسه ، أو شعوره بالدونية أى أنه أقل من غيره ، أو لارتكابه المعاصى فيظن أن الجميع يفعلون ذلك ، ومن ثم كانت العواقب خطيرة ، حيث يجره سوء الظن إلى المزيد من الذنوب ، فتتحول حياته إلى جحيم ، حيث يلصق التهم بالأبرياء بلا سند ولا دليل .

ولذلك كان منهج عمر بن الخطاب : لا تظن بكلمة خرجت من



أخيك المؤمن شرا وأنت تجد لها فى الخير محملاً ، وكان محمد بن سيرين يقول : إذا بلغك عن أخيك شئ فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد فقل : لعل له عذراً لا أعرفه .

ثانيا : الإنصات :

يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ... ﴾ الأعراف / ٢٠٤ ، فالسماع غير الاستماع ، والاستماع غير الإنصات ، فالاستماع التفهم لما يقال ، والإنصات حمل نية العمل لما فهمت ، وهكذا يكون الإنصات طريقاً للتفاهم بين الناس .

ومن فوائد الإنصات الجيد :

تعلم شئ جديد والتأكد من المعلومة وإظهار الاهتمام وبناء علاقات ، وكل هذه الفوائد هى التفاهم بعينه الذى يتحقق بين الناس ، فهل فعلاً نحن نجيد فن الإنصات ؟ .

إن أغلب مشاكلنا تبدأ من سوء التفاهم ، وسوء التفاهم منشأه من قصور فى تلقى الرسالة ! ، وهذا القصور يرجع بدوره لسبب واحد : أن أحدنا لا يجيد فن الإنصات !! ، فيقاطع ولا يتفهم وجهة النظر ، ويفسر الكلام على هواه ، وينشغل بالرد على المتحدث دون تركيز على الرأى المطروح ، وكما قيل فى ذلك : (التعب الذي يأتيك من متابعة الإنصات خير بألف مرة من سوء التفاهم !!) .



ولكى نصل إلى إنصات جيد وفعال يوصينا خبراء التربية بالتالى :

- لا تقاطع أحداً أثناء حديثه .
- ركز على الأفكار الأساسية .
- تجنب التعبير عن الضيق بملامح وجهك .
- انتبه إلى تعبيرات من يحدثك .
- تجنب الانصراف عن الحديث .
- انتبه إلى الاحتفاظ بهدوئك .
- ركز فهمك للأشياء المقصودة .
- لا تتكلم أثناء كلام الآخر .
- فكر فى تعبيرك قبل حديثك .
- لا تنفعل بمجرد سماع النقد والاعتراض .
- اظهر ترحيبك بالاعتراض والنقد .

فما أجمل أن تتحقق فينا الآية الكريمة ، فى قوله تعالى :

﴿ ... وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ الحاقة / ١٢ .

حيث نحتضن الغضب والغاضبين ، ونمتص الألم ونحتوى المتألمين ، ونعبر عن ذلك كله بالعين قبل الأذن ، فالإنصات بالعين كما بالأذن .

ولذلك الناس تلجأ دائماً للمنصت لهم لأنه المغناطيس الذى يلجئون إليه لتفريغ همومهم وأحزانهم وأفراحهم .



ثالثاً : المصلحة المشتركة :

لو حرص كل منا على مصلحة الآخر قبل مصلحته ، لصدق وتحقق التفاهم بين أبناء المجتمع ، والإسلام يعلم أبناءه أن أى تعارض بين مصلحة الفرد والمجتمع فعليهم أن يقدموا على الفور مصلحة المجتمع ، لأنها المصلحة العامة ، فالرسول ﷺ حينما رفض المال والسلطة والجاه والمكانة كان فى الأصل يرفض المصلحة الشخصية التى قدمت بين يديه ، فهو كصاحب رسالة غلّب وقدّم مصلحة الأمة العامة ، لتكون قاعدة كل من يعمل فى المجتمع .

ومن ثم كانت القاعدة الاسلامية : « **لا ضرر ولا ضرار** » بمعنى أن أحكام الاسلام ليست موجبة للضرر بل كلها نفع ، ثم إن الإسلام لا يسمح بضرر الإنسان للآخر ، وحتى ضرره على نفسه ، كما أنه لا يسمح بمطلق الضرر حتى على الحيوانات والطبيعة .

ومن ثم فأى تنظيم للمجتمع بوضع قانون يلجأ إليه أفراده ، لابد أن يقوم على هذه القاعدة فلا يسيطر عليه الأهواء والمصالح الشخصية ، فتضر أكثر مما تنفع .

رابعاً : التفاوض الهادف :

إذا كان معنى التفاوض : (أنه عملية اتصال بين شخصين أو أكثر يدرسون فيها البدائل للتوصل لحلول معقولة لديهم أو بلوغ



أهداف مـرضـيـة لـهم) ، فـإنه لابـد له من هدف واضـح : وهو الوصول إلى حل وسط يرضى جميع الأطراف ، وبهذا نقول : إن التفـاوض الهادف هو الطريق إلى التفـاهم بين أفراد المجـتمع ، حيث التعاون لا التصارع ، وإلا كانت العواقب وخيمة حينما يتصـور البعض أن هدف التفـاوض هو الانتصار على خـصـمه وهزيمته وتحقيق الفوز عليه بأى ثمن .

ومن أجل تفاوض هادف لابد من أن تكون المعلومات متوفرة وأكثر دقة من الطرفين ، للوصول إلى إحداث توازن يشجع على التوصل إلى حل وسط ، يحقق فوز الاثنين معاً ، بعيداً عن أى ضغوط خارجية لا تؤدى إلا إلى تفكك أواصر المجتمع ، ومحو المحبة بين أفراده ، أو بمعنى آخر : إحداث حاجز يحول بين تفاهم الناس ، وبالتالى لا يحظى المجتمع بأى أمن واستقرار .

❊ ❊ ❊



٧ - التفاهم
الحلقة الثانية
فن مواجهة عوائق التفاهم

١ - رشاقة التعميم :

كان صحابى يدعو الله بصوت مرتفع وكان قريبا من مجلس النبى ﷺ ، فخاطب النبى الجميع حتى لا يحرج مشاعر الرجل ، فقال : « **اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريباً وهو معكم** » .

وقد جاء رجل يشكو تأخره عن صلاة الغداة لأن الإمام يطيل الصلاة ، فلم يستدعه النبى ويبين له خطأه بل خطب الناس وقال : « **يا أيها الناس إن منكم منفرون ، فأيكم ما صلى بالناس فليوجز فإن بينهم الكبير والضعيف وذا الحاجة** » .

فكانت رشاقة التعميم فى وقتها وحينها دون إحراج للمشاعر ، أو لوم وعتاب ، أو إشارة باتهام ، ليتواصل التفاهم وتسير مسيرة الحياة .

٢ - الحوار لا الكلام العقيم :

الحوار يفتح جسور المحبة والتفاهم والتعاون والانسجام ، ولكن حينما يتحول إلى جدل فهو الكلام العقيم ، لا خير فيه ،



ولا مصلحة معه ، ولا حق به ، لأن صاحبه يسلم زمامه للشيطان وهو لا يدرى ، فيوجهه إلى ما لا فائدة معه ، وقد يكسب أشياء ولكنه يفقد التفاهم ويقع فريسة لضحكات الآخرين ، وبالتالى فكلامه عقيم ، لأنه تحول إلى جدال والجدل لا يأتى بخير ، فتراه يختار موضوعا قد قتل بحثا ، ولا يحظى باهتمام أحد إلا هو ، بل إنه قد يكفر من يحاوره ، أو يفسقه ، أو يخرجه من دائرة الإنسان ، وتراه متعصبا ثرثارا غضوبا صارخا متحديا مهاجما قاذفا بألفاظ كالحجارة بل أشد قسوة ، فهل بالله عليك هذه صور التفاهم أم هى الكراهية هو يصنع بذورها فى الناس ثم يخاصم المجتمع راميا باللائمة عليه .

٣ - الأنانية القاتلة :

نشاط المجتمع خدميا كان أو فكريا أو اجتماعيا أو غير ذلك ، لابد أن يقوم على عمل جماعى و تضافر الجهود ، إلا أن بعض أفراد المجتمع يتحول جهده من الإبداع والتخطيط والإنتاج إلى الاستحواذ الأنانى ، وإلغاء الأخرين أيا كانوا وتحجيم دورهم ، وبالتالى يتحول الجهد والعمل فى داخل مؤسسات المجتمع من عمل تعاونى ونشاط بناء إلى هدم وصراع وتخريب ، واستهلاك للطاقة والجهد والوقت ، فيبدأ التآكل فى المجتمع ، وتتحكم فيه صور الانهيار .

ولكى نكون متفاهمين لابد من نسف الأنانية تلك القاتلة ، فلا

نلقى باللائمة أو المسئولية دائما على من سبقونا ، بل تبقى المسئولية على أنفسنا ، يقول تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة / ١٣٤ .

بل لابد أن نستلهم ممن سبقونا دروسا لمتابعة أعمالنا ، ونعلم أن كل واحد منا له دوره ، وأى محاولات لإلغاء دوره أو شطبه من الحياة ، فهى محاولات خائبة ، لأن الله خلقنا لنتكامل لا أن يلغى بعضنا بعضا ، فلكل وردة رائحة ، ولكل إنسان دور يختلف عن الآخر ، به يتميز، وعليه يتفوق ، وإليه يسمو .

فلماذا لا نتفاهم إذن ؟ ! .

ولماذا لا نبتعد عن التمحور حول الذات ؟ !

ولماذا لا يتحرك بعضنا إلا بدافع المصلحة ؟ !

ولماذا يبحث بعضنا عن تحقيق الأنا والذات فى نفسه ؟ !

يقول تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ  وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ التوبة / ٥٨ : ٥٩ .

فنعم الاسلام ، ونعم الرسول ، إذا وافق أهواءهم ، وأشبع رغباتهم ، فإن لم يكن فهم يسخطون ويتذمرون وينهالون باللوم والتقريع والاتهام على الرسالة والرسول والمؤمنين والدعاة .

٤ - عدو التفاهم التشدد :

فهو ناسف للتفاهم ، فلا شئ كالغلظة يأجج الحروب ، ويشعل العداوات ، ويدمر الحياة ، والتشدد يقطع كل الطرق للتفاهم بين الناس ، فهل معنى ذلك أن نتساهل لنتفاهم ؟ أو نتسرع فى الحكم على الآخرين ؟ أو نبادر بأى شئ لنتفاهم ؟ ... ليس هذا مقصودنا ، إنما مقصودنا بالبعد عن التشدد ألا يكون تعاملنا قائما على الأغراض والمصالح ، أو عدم التثبت من الأمور ، أو التغليظ من أجل الضرر ، فالمهم شخصية المتفاهمين ، وبراءة دواخلهم من التشدد .

ولذلك كان يقول سفيان : (إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل أحد) ، أى هو سهل على أى أحد أن يتشدد ، ولكن الرقة واللين والمرونة والرفق والسهولة فهى صعبة ، كأنها كلمات ارتفعت من قواميس التعاملات فى مجتمعاتنا ، حيث لا تنطلق إلا من شخص قوى متين هادئ مكين ، يقول الإمام الشاطبى فى تعريف نموذجنا : (هو الذى يحمل الناس على الوسط المعهود فيما يليق بالجمهور فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم إلى طرفى الانحلال) :

ولا تغل فى شئ من الأمر واقتصد
كلا طرفى الأمور ذميم

وعلى هذا كان المنهج النبوى الكريم ، فقد قال لمعاذ لما أطال

الصلاة بالناس : « **أفتان أنت يا معاذ ؟** » ورد على المتشددين الوصال فى الصوم ، وغير ذلك كثير ، فصلناه فى كتابنا : (*فقه الحركة فى المجتمع*) .

ومن أجل ترك التشدد لنتفاهم حقا ، يجب علينا أن نحذر حب الظهور وأن نكون متجردين لله تعالى فى قولنا وسلوكنا ، وأن نقدر وقفتنا جميعا بين يدى الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وبذلك يحل التفاهم محل التشدد المكروه ، فيحبك الآخرون ويقبلون عليك ، ويتقبلون منك ، لأنك تضع نفسك مكانهم ، وتتقبل منهم آراءهم ، وتعاملهم بالرقة واللين ، وما دخل الرفق فى شىء إلا زانه .

وإذا اختفت أنواع التشدد سواء كان فى محيط الآراء ، أو فى محيط عائلاتنا وأسرنا ، أو فى محيط مجتمعاتنا ، أو فى محيط ممارساتنا السياسية ، نعمنا والله بالوئام ، واستطعنا بحق أن نعيش متفاهمين .

٥ - الجهل بثقافة العصر :

ونعنى بثقافة العصر : كل ما وصلت إليه العلوم الشتى من جهود وإبداعات من ناحية ، ومن ناحية أخرى الانفتاح على ثقافات العصر وأفكاره وآرائه ، مما لا يجعل الإنسان مقطوعاً عن زمانه بأحداثه وأفكاره ومعطياته ، ومن ثم يكون التفاهم مع الناس سهلاً ، فيستطيع أن ينفذ لكل الشرائح ، وأن يفهم ويتفهم



حالات الناس المختلفة .

ولذلك فمن الجهل بثقافة العصر أيضا : الجهل بأدوات هذه الثقافات العصرية ، من فضائيات ونت وكمبيوتر وإذاعات ووكالات أنباء وصحف ومجلات ، وغيرها من وسائل الاتصال والإعلام .

وإن كان للتفاهم لغة ، فهى لغة الانفتاح على العصر اليوم ، بقضاياه ومشاكله وأحداثه ، خاصة بعد أن أصبح العالم أجمع كغرفة صغيرة ، لا يستطيع أحد أن يخفى معلومة لمدة لحظة من الانتشار .

٦ـ التعالى :

على مستوى التفاهم الزوجي يحسب الكثيرمن الرجال أن التشدد على زوجته وعدم التفاهم معها هو السبيل لمواجهة التعالى منها ، فهو يتوهم أنه بالتفاهم معها تتعالى عليه ، وتسيطر وتتحكم فيه ، مما يجعلها دائما من جهة أخرى فى خيبة أمل من زوجها وإصلاحه فتكرهه ، والسبب يرجع إلى إعراضه عن التفاهم ، وكذلك الحال على كل المستويات فى المجتمع ، نحن الذين نتوهم شبحا نطلق عليه : (يريد أن يسيطر علينا - يريد أن يتحكم فينا - يريد أن يجعلنا على هواه) وكل هذه دروع وهمية ، فى معركة من نسيج الخيال ، تغلق كل أبواب التفاهم .

ومن وهم التعالى إلى التعالى نفسه ، وهو كما قال علماء



التربية : (شعور بمركب النقص داخل النفس فيسعى صاحبه للتعويض عن طريق التعالى) ، كأن يشعر بعدم أهليته لمهمته فيتعالى على الآخرين خوفاً من المواجهة ، أو يشعر بضعف فى شخصيته فيعوض الضعف بالتميز على الآخرين فيتعالى ، أو تصور خاطئ بأن التعالى هو الوسيلة الوحيدة لاكتساب ثقة الآخرين واحترامهم ، ولا أدرى من أين تعلم ذلك ؟ ، ومن الذى يوجهه إلى حتفه وتدميره دون أن يدرى ؟ ! .

ولذلك أفضل شئ فى مواجهة التعالى بنوعيه :

- **الاعتراف بالخطأ فهو أسلم الطرق ، ومحاولة إصلاحه حتى لا يصير الإنسان أضحوكة لمن حوله .**
- **أن يتجنب انتقاد الأشخاص فالنقد يوجه إلى العمل ، فشتان بين (عمل سيئ) و (شخص سيئ) .**
- **أن يشيد بالأفكار والأعمال الجيدة ، فإن الثناء له دور كبير فى التحفيز ، وبالتالى فى التفاهم ، ولا يسرف فى الثناء بل يكون فى الجيد والمستحق الشكر .**

فالتعالى الحقيقى ليس على عباد الله فى المجتمع ، وإنما فى تحققنا بقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ...** ﴾ آل عمران / ١٣٩ ، بمعنى التعالى عن الصغائر والتعالى عن سفاسف الأمور ، فما يصيبك فشل أو يأس أو إحباط ، فإن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها :



أنا إن عشت لست أعدم خبزا
وإذا مت لست أعدم قبرا

٧ - لغة الخطاب :

لغة الخطاب هى الأساس العملى والواقعى لكل تواصل بين الناس ، لذلك قيل : (أنها صلة الوصل والربط الحقيقى بين أى مجموعتين) .

ولغة الخطاب استعيرت من التواصل الوحيد قديما (الخطابة) ، أما اليوم فيمكنك إرسال خطابك عبر حجرتك المغلقة إلى ربوع الأرض كلها .

وتتوقف لغة الخطاب على الشريحة التى نتحدث معها ، ولكى يحدث تفاهما ايجابيا وناجحا ، فلابد أن تسود لغة مفهومة من الطرفين ، توافق العصر والمكان والزمان ، أما استعارة لغة من القديم فإنها لا تحدث تفاهما ولو كانت مفهومة لدى صاحبها ، فالمهم أن يكون الهدف التفاهم ، فإن اضطر البعض إلى التحدث بالعامية أو بما هو مفهوم من بعض اللغات الأجنبية فلا بأس فى ذلك .

وتكتمل لغة الخطاب فى الوصول إلى التفاهم المنشود ، حينما يجيب كل منا هذه الأسئلة :

١ - إلى من أوجه حديثى وكلامى ؟
٢ - أى مستوى من الناس يتفهم ما أقول ؟

٣ - ما نوعية المعلومات التي تفهم عني ؟

وحينما نصل إلى أن يفهمنا الناس ولا يفهمون أننا نفهم فقط ، هنالك يكون التفاهم قد تحقق بيننا ؟ !

* * *



٧ـ التفاهم
الحلقة الثالثة
كيف نتفاهم مع هؤلاء ؟

فى حياتنا اليومية نقابل الكثيرين من الناس فى المجتمع ، فإذا حدث نوع من التوتر قلنا سوء تفاهم ! ، ولكن بعد انفعالات شديدة تأخذ بالنفس والقلب ، وترهق الجسد ، وتفسد العلاقات ، نقول لماذا حدث كل ذلك ؟ ، أما كان لنا أن نسلك مسلكا آخر ؟ .

ولذلك كان سؤالنا : كيف نتفاهم مع هؤلاء ؟ ، وهؤلاء هم من نتعامل معهم فى يومنا من : أبنائنا وآبائنا وزوجاتنا وأصدقاء العمل وحالات الناس المختلفة فى المجتمع ، ولسنا بصدد التحدث عن شرائح وأصناف الناس بقدر ما نحن نتحدث عن التفاهم .

١ ـ مع الأبناء

الأبناء فى طفولتهم يتفاهمون بالحنان ، وهذا ما أودعه الله فى قلوب الآباء من أبوة وأمومة ، ولكن المشكلة تكمن حينما يكبر الأبناء ، وتتعمق المشكلة مع المجتمعات المفتوحة اليوم ، والحل



فى أن يجيب الآباء على هذه الأسئلة بصراحة :

كيف نقتع الأبناء بأننا على وعى بالحياة العصرية ؟

كيف يتقبل الأبناء بأننا على ثقافة وفهم ؟

كيف يسلم الأبناء بأننا على تفهم كامل لهم ؟

وللإجابة جهد يقوم به الآباء مع أبنائهم من أولى أولوياته : التفاهم ، حتى نصل معا إلى الهدف المنشود وهو : أن يثقوا بنا .

فالأبناء لا يفتحون قلوبهم لآبائهم ، وبينهم وبين الآباء فراغ ، ولئن سألت أباً أو أماً لقال فى غضب : جيل لا يعجبه أحد ، ومستعجل ، متمرد ، جيل أصحابه ، جيل الفضائيات والنت والبلياردو والمحمول ، فإن قومناه اعتزلنا وصرخ وهاج وماج وأضرب عن الطعام ، ثم دخل فى كهف من الكتمان والأسرار ، كيف نتفاهم معه ؟

التفاهم معه يعلمه جيداً الآباء ولكن ... عوامل كثيرة تحاصرنا هى التى تصرفنا عن فعله ، ويجب أن نتصارح لنتفاهم ، وهذا الذى نعرفه أودعه الله فينا فهو ميسور وسهل ، بثلاثة أمور :

١ - بالحب والمشاركة :

نغذيه بالحب بما يفتح شهيته للطعام ، ونشاركه مع أصحابه وهواياته ورغباته واحتياجاته .



٢ ـ بالتعبير عن الحب بالحواس الخمسة :
باللمسة والهمسة والخلق والقدوة والسلوك والعين التى تحمل مودة القلوب ، والثقة وحس الظن ، والكلمة اللطيفة الدافعة اللينة .

٣ - تقوية نقاط القوة : اكتشاف ما فيه من تميز ، وكل واحد من البشر جعل الله فيه تميزا منفردا به عن غيره ، كيف نقويه وننميه حتى نشعره بكينونته وشخصيته واستقلاليته ، ويكون سلوكنا القولى واللفظى مؤدياً لذلك بصدق وإيجابية وعلى الاستمرار .

مع الآباء

آباؤنا ريحانة الوجود ، ولؤلؤة الزمان ، لا يحتاجون منا إلا للقليل ، من أجل أن نكون متفاهمين ، يحتاجون إلى خمسة أمور فقط ، جعل الله فى أدائها أجراً عظيماً للأبناء :

١ - احترام رأيهما ورغباتهما .
٢ - طلب الاستشارة منهما والرأى .
٣ - تقديمهما فى الاهتمام والرعاية .
٤ - احترام أصدقائهما وتقديرهم وعونهم .
٥ - المشاركة والمساندة فى اتخاذ قرارهما .



مع الأزواج

التفاهم الزوجى بات اليوم فى حياتنا من أهم المتطلبات التى تسعد بيوتنا على الدوام ، وهو مهمة مشتركة بين الزوجين معا ، ينبع من ثقة قوية داخل النفس للزوج والزوجة ، يترتب عليها مواجهة ونسف كل معوقات التفاهم الطارئة والكثيرة والمتوالدة فى كل لحظة ، من لوم وعتاب وغضب وجدال ومشاحنات وتراشق كلامى وعناد وهجر وابتعاد .

فهل بالفعل التفاهم هو السحر القاضى على كل هذه العوائق ؟ .

من خبراتنا بالحياة والواقع نقول بكل ثقة : نعم وفقط بخمسة واجبات :

١ – المحافظة على الود فى التعامل من الليونة والمرونة والحب والتقدير والاهتمام والتسامح وإشاعة جو مبتسم .

٢ – غض الطرف عن صغائر الأمور بالأسلوب اللطيف فى حل المشكلات وليس العدائى أو الاستفزازى .

٣ – الانفتاح على المجتمع وتوسيع دائرة المعارف والأصدقاء لتخفيف الضغط العاطفى وتجديد الحياة

٤ - الحوار المستمر حول العلاقات الزوجية ومستقبل الأسرة لتخفيف ضغوط الحياة وبناء مستقبل أقل مشكلات .

٥ - علاقات حميمة متجددة وابتكارات رومانسية للقضاء على الرتابة والملل واستمراراً لحياة بهيجة .

مع الناس

من أقاربنا وجيراننا وأصدقائنا وزملاء العمل ومعارفنا ، ومن طبيعة الحياة أن تكون لنا مشاكل مع كل هؤلاء ، كلها قائمة على سوء التفاهم ، ولذلك فإنني سأقدم وصفة سحرية مجربة ولا أطلب منكم غير الدعاء ، لدينا مشكلة كيف نتفاهم ؟ ، نشخص المشكلة ونكتشف منبعها ونحاول التحدث حولها بنية الحل والصفاء من جديد ، لم تفلح المحاولات ، استمر تحدث بلسانهم وعن مشاعرهم وادخل فى عالمهم وقل لهم : نعم لن تستغنى عن هذا الأمر فهو حيوى جدا لك ومريح ، لم تفلح ! ، لا تتوقف تحدث عن مشاعرك أنت قائلاً : أنا قلق جدا مما تفعل وحريص عليك ، لم تفلح ، لا تيأس فكرا معا بصوت عال عن البدائل ولا تستأثر أنت بالكلام ، اجعله يختار البديل المناسب ، وبادر بالتنفيذ الفورى ولا تؤجل ، واحرص على هذا الترتيب ، فلربما يستجيب فى الأولى أو الثانية أو الثالثة .



وكل مشاكلنا مع الناس تكمن في عدم فهم الآخر ! أو عدم محاولة فهمه ! فما أسبابها ؟ ، بالتأمل وجدت أن أسبابها ترجع إلى :

ثلاثة أمور :

الأول : عدم لقاء الآخر :

نحن لا نلتقي فكيف نتعرف على اختلافاتنا ؟ ، نحن لا نلتقي فكيف نتعايش ؟ ، نحن لا نلتقي فكيف نتعامل بإيجابية ونحن مختلفين ؟ .

الثاني : عدم وضوح الآخر :

ولذلك فنحن إما لم نفهمه أصلا ، أو فهمناه فهماً مغلوطاً ، والسبب في ذلك الغموض وعدم الوضوح .

الثالث : عدم قراءة الآخر :

إما عدم القراءة مقصودة بمعنى إدراك نواياه ومقاصده ومراميه ، أو قراءته قراءة مغلوطة بسبب تشويش أو تدليس أو تزوير أو تلبيس أو معارضته لرأيي أصلا .

فما الحل إذن ؟ ... الحل في أمرين :

الأول : الإيجابية :

بمعنى أن يكون لي هدف أسعى إلى تحقيقه ، ثم أقبل بالتنوع وهو من طبيعة الحياة يقول تعالى :

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ .. ﴾ الإسراء / ٨٤ ، ثم تنافس



شريف لا تصارع ممقوت .

الثانى : المشترك :

بين كل البشر أمور مشتركة ، يتفقون عليها ولكن فى غمار الانفعالات لا نتذكرها بل نتناساها إن هى أقبلت علينا أو ذكرنا بها رشيد ، كوحدة العقل ، ووحدة المصير ، ووحدة المعاناة ، فالمتفق عليه كثير خاصة التحديات التى تواجهنا ، فلماذا نبدأ بالمختلف ونترك المتفق ؟ .

كيف نبدأ ؟ :

تقول الدراسات أن تعبيرات الوجه وقسماته تمثل ٥٥ ٪ من معانى كلامنا ، و٣٨ ٪ يمثلها الكلام نفسه ، ٧٪ فقط هو ما يحتفظ به الإنسان من كلام المتحدث ، لأن العوامل الأخرى أقوى منه ، وهى : (قسمات الوجوه ونبرة الأصوات وفنون الإلقاء وأسلوب العرض) ولذلك أجمل الله تعالى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ ... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت / ٣٤ .

ووفق ذلك فإن البداية الموفقة تأخذ بك إلى نهاية مشرقة ، وهناك وصفة مجربة فى هذا المجال يوصى بها الخبراء ممثلة فى هذه الخطوات :

١ـ الانطباع الأول :

تأكد من الانطباع الأول الذى يؤخذ عنك فإنه لا يزول ، وهذا



يحتاج إلى إعداد وتهيؤ وابتكارات .

٢- افتح الباب :

بمعنى اعطه فرصة ليتعرف عليك ، بلباقة وشياكة وبطريقة غير مباشرة شجعه وساعده .

٣ - الق لغزك :

أنت ما زلت أمامه لغزاً ، افتح له اللغز ، اسأل أنت أنا أحب كذا هل تحبه ، أنا أسكن فى كذا أين تسكن ، أنا أعمل كذا ما عملك ، بشرط عدم إحراجه .

٤ - الإصغاء الفعال :

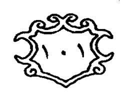
بذلك أنت تدخل فى طريق التفاهم ، اتركه يتحدث ويتحدث ، فكلما تحدث وأنت مصغى له بتعاطف يزداد التفاهم .

٥ - ادخل فى عالمه :

ابحر فى هواياته واحتياجاته وأشبع رغباته ، فأنت الآن فى عالمه ، ادخل وكلك ثقة ، ليتم التواصل .

٦ - اعطه الأمان :

فقد وثق منك ، وتكلم فى حرية ، شجعه فهو الآن فى آمان ، حافظ على الاستقرار والاستمرار ، فقد تم التفاهم .



مع غير المسلم

هل هناك تفاهم مع غير المسلم ؟ ، هذا سؤال لا يطرحه إلا جهول بدينه ، جاهل بدنياه ، فقد ألزم القرآن المسلمين بأن يقروا بنبوة جميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، ليس تسامحاً فقط ، ولكن لأنه دين الله للبشرية جمعاء .

ولذلك فالإسلام يحافظ على علاقات تقوم على المودة والاحترام و مساعدة الضعيف والملهوف ، والرفق بالإنسان ، أياً كان دينه أومذهبه أو أصله .

تكفى شهادة توماس أرنولد فى قوله : (إن الملاحدة ظلوا ينعمون فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح ليس لها مثيل فى أوربا) .

ويؤكد عيشويابة الذى تولى كرسى البطريركية من عام ٦٤٧ إلى عام ٦٥٧ حين قال : إن المسلمين يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا .

وهذا فى البدء أعطى مساحات للتفاهم والمعايشة بعيدا عن التعصب والانغلاق ، ولكن اليوم وقد أصبح لغير المسلم الهيمنة العالمية ، فنحو ٨٠ ٪ من الأنباء العالمية تسيطرعليها وكالات أنباء لا تحفل بعالمنا الاسلامى إلا بالتركيز على الأزمات والاضطرابات ، وتشويه الاسلام والمسلمين ، بالتناول غير



الموضوعى وعدم التوازن و التحيز والتلفيق ، وبالتالى أصبحنا مستهلكين ولسنا فاعلين ، فأنى لصوت الحق والحرية والعدل لأن يصل إلى الإنسان الواعى ، لنشر السلام والمحبة فى ربوع المجتمعات ؟.

ولذلك فالتفاهم واجب اليوم على المسلم مع غير المسلم ، لينطلق المجتمع فى سلام حقيقى ، وهذا ما يعلمنا إياه الإسلام فى خطوات معدودة :

الأولى : مخاطبة الفطرة الانسانية :

بالبساطة فى المعنى ووضوح الفكرة الاسلامية ، والتعامل معه وفق ظروفه هو ، بما يحدث انسجاما مع الواقع وحقائق الحياة ، فقد تفاهم النبى مع الكفار فى مكة ، والمنافقين بالمدينة ، وملوك ورؤساء الدول فى عهده ، وأهل الكتاب من يهود ونصارى .

الثانية : الأساليب المنطقية :

من احترام العقل وتقدير الفكرالبشرى ، والمحاورة بالأساليب القائمة على الحجة والبرهان ، فكل ذلك هو الطريق إلى التفاهم بين البشر .

الثالثة : التى هى أحسن :

فلا نهاية لها ، من كلمة طيبة ، وأسلوب حسن ، بل أحسن ، يخاطب القلوب ، ويمس النفوس ، يداوى ويخفف ويلين

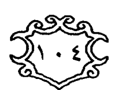


ويرقق .

الرابعة : التقارب للتفاهم :

بدءاً بالمتفق عليه حتى يتسنى التفاهم فى المختلف عليه بين الأديان ، والمساحات المشتركة للتفاهم كثيرة ، قاتل الله من يوقد الاختلاف فى القليل ، بهذا التقارب الحميد تصحح الكثير من الشبهات بما يحقق العدل والتكافل والتضامن والخير للناس جميعا .

❊ ❊ ❊



٨ ـ التعارف
قواعد التعارف

حينما تحدث الإسلام عن التعارف أراد أن يكون ذلك خلقا للمجتمعات ، وبالتالى فلابد أن يكون متوفرا على مستوى الأفراد ، حتى يتحقق فى عالم الأرض ، فهو خلق عالمى : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء / ١٠٧ .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ....﴾ الحجرات / ١٣ .

وبالتأمل فى الآية الكريمة نجدها تذكرنا بثلاث قواعد مهمة :

الأولى : الوحدة الإنسانية :

أى أن الناس جميعاً يشكلون أمة واحدة ، كلكم لآدم وآدم من تراب وذلك فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ... ﴾ .

الثانية : التنوع الإنسانى :

فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ الحجرات / ١٣ ، أى بإرادة إلهية ، وهذا التنوع وجوده تجسيد لهذه الإرادة الإلهية

الثالثة : التعارف :

وهو الهدف من هذا التنوع الإلهى ، تحقيقاً لوحدة تحفظ التنوع



وتحترمه وتصونه فى قوله تعالى : ﴿ لِتعارفُوا﴾ .

فما معنى التعارف ؟

هو الرابطة القوية التى تربط بين جماعات الناس المتنوعة ، وليس هناك تعارف بين الناس إلا بعد معرفة بينهم ، والمعرفة دائما تبدأ من الاختلاف ، إذ ما قيمة المعرفة لأناس متفقين ؟ ، وعلام يتعارفون ولا اختلاف بينهم ! .

ولبناء مجتمع متناغم إنسانى واحد على قاعدة معرفة المختلفين وتعارفهم جاءت الآيات الكريمة واضحة جلية :

١ - يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ يونس / ١٩ .

٢ - يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ هود / ١١٨ .

٣ - ويقول تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ الشورى / ٨ .

الاختلاف آية :

يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ...﴾ الروم / ٢٢ .

وأى اختلاف عرقى فهو اختلاف داخل الأسرة الإنسانية الواحدة ، يحتم احترام الآخر كما هو ، وعلى الصورة التى خلقه الله تعالى عليها ، يقول تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ

مُولِيها ﴾ البقرة / ١٤٨، ويقول تعالى : ﴿ لكُلِّ أُمَّةٍ جعلْنا منسكًا هُم ناسكُوهُ ﴾ الحج / ٦٧ ، ومعنى ذلك : مع اختلاف الألسنة والألوان ، كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج ، وهذا ما أكد عليه القرآن فى قوله تعالى :

﴿ ...لكُلٍّ جَعلْنَا منكُمْ شرْعَةً ومنْهاجًا ولوْ شَاء اللَّهُ لجَعلَكُمْ أُمَّةً واحدةً ولَكن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخيْرَاتِ إلَى اللَّه مرْجعُكُمْ جَميعًا فَيُنَبِّئُكُم بمَا كُنتُمْ فيه تَخْتَلفُونَ ﴾ المائدة / ٤٨ .

فالاختلاف العرقى أو المذهبى أو الدينى أو العرفى باق حتى قيام الساعة ، والفن فى التعامل معه مع بقائه لا يكون بإلغائه ولا بتجاهله ولا بتهميشه ، بل بالتعرف عليه وتقديره واحترامه وتقبله كسنة من سنن الله فى الكون .

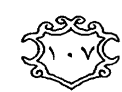
التعارف سنه كونية :

١ - سنة التداول :

﴿ ... وَتلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران / ١٤٠ ، فالتداول هو الحياة ، ولا حياة بدون تعارف ، والنهاية والتوقف هو الموت ، حيث يموت التعارف .

٢ - سنة التدافع :

﴿ ... وَلَوْلا دَفْعُ اللَّه النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَت الأَرْضُ ﴾ البقرة / ٢٥١، وليس بالتصادم والتحارب وإنما بالتنافس الذى هو إصلاح للمجتمعات ، بل اعتبره البعض من مستلزمات عدم



الفساد فى الأرض .

٣ - سنة التغاير:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ الأنعام / ٣٨ ، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ... ﴾ يونس / ٤٧ .

ولذلك فلا استكمال لسنة التغاير إلا بالتعارف بقواعده السابقة .

التعارف يكون على نفس المستوى :

ولكى يكون التعارف ناجحاً لابد إن يكون على نفس مستوى المتعارفين ، بحيث لا يكون هناك مسامح ومتسامح ، وقد بين الله ذلك فى ثلاث آيات :

الأولى : ﴿ ....لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة / ١٣٦ .

الثانية : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ... ﴾ آل عمران / ٦٤ .

الثالثة : ﴿ ... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت / ٣٤ .

فالوحدة الإنسانية هى الإطار والتعارف والاعتراف بالآخر ليس خارج هذا الإطار ، فهى وحدة فى إطار التنوع الإنسانى الطبيعى الإلهى .



تعارف الاختيار والحب :

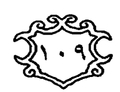
ولذلك فالعلاقة التى يريدها الاسلام تقوم على الاختيار لا الإكراه ، ولذلك فهى بعيدة عن سياسة الفرض أو الإجبار التى تؤدى دائماً إلى تنكر الآخر وتجاهله ، والنتيجة الطبيعية لذلك : هى البغضاء والكراهية .

ولو أنها قامت كما أمر الإسلام على الاختيار بين المختلفين ، لحل محلها الحوار والتواصل والتفاهم والتقبل ، وكانت النتيجة والثمرة هى المحبة والتآخى والثقة والاحترام وانتشار الحب بين المختلفين .

وهذا من أجمل أنواع التعارف بين الناس ، وبهذا المفهوم يصبح التعارف فى حياة المجتمعات : هو التعاون والتحالف والتبادل والتكامل ، بل كافة أشكال العلاقات ، وحينئذ تختفى الحروب ، فالناس أعداء ما جهلوا ، وخصوص ما لم يتعرف أحدهم على الآخر ، فمن كان يظن أن المغول الذين عثوا فى الأرض فساداً وكانوا أشد الناس عداءً للإسلام هم الذين يحملون لواءه وينشرونه بعد أن أسلموا ، وما ذلك إلا لأنهم تعرفوا على الإسلام والمسلمين .

حاجتنا إلى التعارف :

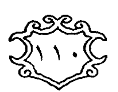
فما أمس حاجة مجتمعاتنا اليوم إلى تحقيق التعارف بالمفهوم الإسلامى ، ليس على مستوى الأفراد فحسب بل على مستوى



المجتمع الدولى حيث تنتهى صور التعارف المغشوش ، من أجل المصالح والغايات ، أو من أجل الهيمنة والسيطرة ، أو الإضعاف والإذلال ، وهو مانراه اليوم فى المشروع الامريكى الجائر ، والصلف الصهيونى الغادر ، فأى تحالف لاحتلال البلاد وتخريب الأوطان ؟ ، وأى تعاون للسيطرة على الخيرات ونهب الثروات ؟ ، وأى تبادل بين قوى سارق وضعيف مسروق ؟ ، وأى تكامل بين لص مخادع وهدف مستغفل ؟ .

وما أحوجنا أن نتعارف فى داخل مجتمعاتنا مهما كان الاختلاف بكافة أشكاله ، من أجل مجتمع آمن مستقر.

***



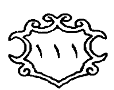
٩- التكافل
الحلقة الأولى

نشرت مؤخراً على يد مجموعة من علماء الاجتماع دراسة عن مسح إحصائي يقيّم العالم ، شمل أناساً في ٦٥ بلداً ، توصلت إلى أكثر الناس سعادة في العالم يعيشون في نيجيريا ، أما من ٢ -٥ كالتالي : المكسيك وفنزويلا والسلفادور وبريرتوريكو .

بينما جاءت أمريكا في المرتبة السادسة عشر ، ويرجع السبب في ذلك أن معايير السعادة مختلفة ، ففي أمريكا معيار السعادة في احترام الذات والنجاح الشخصي ، بينما في اليابان الانضباط الذاتي ، وتحقيق واجبات الفرد نحو عائلته والمجتمع .

لماذا تعددت وسائل التكافل ؟

فالتكافل ليس على الإطلاق بر وإحسان بالمال ، ولكنه في إحداث نوع من السعادة على كافة مسارات الحياة على مستوى الفرد مع ذاته ، ومع أسرته ومجتمعه ، ثم أمته والعالم ، ولذلك وسع الإسلام دوائر الإمداد من وسائل فردية أو جماعية ، حتى لا تكون هناك أدنى حجة لتقصير في الأداء ، لأهمية التكافل في أمن واستقرار المجتمعات .



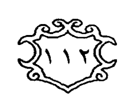
فمن الوسائل الفردية الإلزامية : الزكاة ونسبتها ٢,٥ ٪ كفيلة بحل الكثير من مشكلات الفقر ، **والكفارات** مثل كفارة اليتيم والفطر بدون عذر حيث مصارفها إطعام عدد من المساكين وهى وسيلة أيضا لتحقيق التكافل ، **وصدقة الفطر** وهى واجبة على كل مسلم وهدفها كما قال النبى ﷺ : « **اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم** » ، أما **المحتاج** فقد ألزم الإسلام به القادر يقول النبى ﷺ : « **ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به** » .

ومن الوسائل التطوعية : الوقف ومنه الصدقة الجارية ، **والوصية** وبين القرآن مصارفها : ﴿ ... إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ البقرة / ١٨٠ ، ثم **العارية** وهى آلة أو أداة تعار ثم ترد كما هى دون تلف ، **والهدية** وهى من أجمل الأمور الحياتية التطوعية لقول النبى ﷺ : « **تهادوا تحابوا** » .

ومن الوسائل الجماعية للتكافل : إيجاد فرص عمل للقادرين ، وتنظيم التكافل الفردى فى القضاء على الفقر وتقريب الفجوة بين الطبقات ، وقد أجاز العلماء (بشرط العدل والصالح العام) أن تأخذ الدولة من الأغنياء ما يحقق التكافل حتى تعود الأوضاع إلى طبيعتها .

من أفصح مشاهد التكافل :

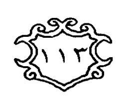
ومن أفصح المشاهد التى صورها النبى ﷺ للتكافل قوله



الكريم : « **أيما أهل عرصة** - أى مجتمع - **أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منه ذمة الله تعالى** » ، لأنه إذا غاب التكافل حل محله الخلل فى المجتمع ، وهذا ما نراه اليوم فى مجتمعاتنا من ثراء فاحش فى جهة ، وفقر مدقع فى جهة أخرى ، والله تعالى قد حذر من أن يصل المجتمع إلى هذا الحد الخطير فى قوله تعالى : ﴿ ... كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياء منكُمْ ... ﴾ الحشر / ٧ .

وسيبقى هذا المشهد خالدا عبر الأزمان ، فقد حرص النبى فى بداية الدعوة على الأغنياء ، ولكنهم يبدو أنهم لم يقدروا هذا الحرص ، فطالبوا النبى أن يطرد الفقراء والمستضعفين من مجلسه ليؤمنوا به ، ولكن القرآن أوضح أن الأمر يفوق غنياً وفقيراً فأمر الله تعالى نبيه فى قوله تعالى : ﴿ ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... ﴾ الأنعام / ٥٢ ، وهكذ أرسى الإسلام قاعدة التعامل مع الإنسان باحترامه وتكريمه بغض النظر عن حاله ومكانته : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ الحجرات / ١٣ ، فتوحد المجتمع فقراؤه وأغنياؤه فى دعوة الإسلام ، فاختفت صور الظلم والاضطهاد والطبقية والجاهلية والاستضعاف .

وهكذا كان النبى ﷺ ، فيا حكام أمتنا هل تتعظون من نبيكم : فلم يلجأ إلى السلطة أو الأبهة أو صنع الفجوات ، أو رسم الهيبة بالسطوة ، أو الالتصاق بالسلطة بالسيطرة

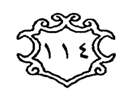


المعنى الحقيقي للتكافل :

وقف العلماء أمام قوله تعالى : ﴿ ... إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ... ﴾ آل عمران / ٤٤ ، فاستخرجوا لنا أن التكافل غير التضامن ، فالكفالة بالنفس : كفلت فلاناً أى تعهدت به ، والضمان يكون بالمال : ضمنت الأرض أى دفعت أجرها ، ﴿ ... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ... ﴾ آل عمران ٣٧ ، ولم يقل ضمنها زكريا ، ولذلك جاء قوله ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه** » ، فالتكافل أشمل من البر والإحسان والصدقة للفقراء والمحتاجين ، فهو :

* ترسيخ للعقيدة .
* وتربية للفرد .
* وتكوين للشخصية .
* وسلوك اجتماعي .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعي ذلك فكان يدخر ليس للجيل الحاضر وإنما للأجيال القادمة ، وهذا ما فعله في أرض السواد (الأرض الزراعية الخصبة بالعراق) ، حينما أراد الفاتحون قسمتها بينهم كغنائم كالمعتاد ولكن عمر قال : (إني أريد أمراً يسع الناس أولهم وآخرهم) ، فقرر أن تكون خراجاً يتركها في يد عمالها يعملون ويؤدون ضريبة لبيت المال (الخزينة العامة للدولة) ، وهو تكافل حضاري غير مسبوق فعمر يحمّل جيل



المستقبل انطباعاً جيداً عن جيل الحاضر حيث لا يبدد الموجود فى حاضر ولكن فى منفعة قادمة تنتظره .

ولو سأل البعض لمن التكافل ؟ ما احتاروا فى الإجابة لأنها حاضرة فالتكافل كما هو للمسلمين فهو أيضاً لغير المسلمين ، فالأساس كرامة الإنسان ، وهو بين المسلمين فى قوله ﷺ : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

ومع غير المسلمين فى قوله تعالى :

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ... ﴾ الممتحنة / ٨ .

وهذه صورة عملية كيف كان التكافل الحقيقى فى الأمة ، حينما نادى عمر : واغوثاه ، فأجابه عمرو بن العاص : بقافلة من الطعام والشراب أولها الفسطاط - عاصمة مصر - وآخرها المدينة المنورة - عاصمة الخلافة .

ومن حقائق التكافل فى الاسلام أنه لا ينحصر فى المال فقط والماديات بل إنه فى المعنويات وكذلك فى الأفكار سواء بسواء ، فقد جاء رجل إلى رسول الله يسأله وهو قادر على العمل فلم يعطه مالاً ، إنما هيأ له فأساً وكلفه ليحتطب ثم يبيع الحطب فيعيش به ، كما كلفه بالعودة إليه ليرى عمله وكيف حاله ، فقرر النبى



مبدأ العمل ، وجعل من معانى التكافل الجديدة توفير وتيسير فرص العمل لأفراد المجتمع ومساعدتهم على الأداء ، فكان ذلك نوع من التكافل بين الفرد والمجتمع .

❋ ❋ ❋



٩- التكافل
الحلقة الثانية
كيف نحقق التكافل بيننا ؟
أنواع التكافل

١ - التكافل الزوجي :

من الرعاية الملزمة للأزواج النفقة على أزواجهم ، والنفقة في الإسلام هي ما تقدم من طعام وكسوة وسكن ، لمن وجبت له النفقة ، وفي حق الزوجة يقول النبي ﷺ : « **ألا حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن مما آتاه الله** » .

والنفقة تختلف باختلاف حال الزوج يقول الله تعالى : ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ الطلاق / ٧ ، يقول الإمام الطبري : النفقة تختلف باختلاف أحوال الزوج في يساره وإعساره وإن نفقة المعسر أقل من الموسر .

٢ - التكافل الأسرى :

حيث القوى يعين الضعيف ، والغني يطعم الفقير ، وتوجب النفقة على الوالدين والأبناء والزوجه ، من طعام وكسوة ومسكن ، فالأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع ، ولا استقرار في



المجتمع إلا باستقرار الأسرة أولاً ، ووفق الموجود هى أيضاً واجبة ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : هلكت ، فقال له : « **ما أهلكك ؟** » ، قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال : « **هل تجد ما تعتق رقبة ؟** » قال : لا ، قال : « **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟** » قال : لا ، قال : « **اجلس فأتى بعرق فيه تمر ، قال : خذ هذا تصدق به** » ، قال : على أفقر منا ؟ فضحك النبى حتى بدت نواجذه ، وقال : « **أطعمه على عيالك** » .

٣ - التكافل العائلى :

وهى تبدأ بالأقرب فالأقرب ، فالأولى أن تقوى الرابطة ، والغاية تحقيق مرامى التكافل من الترابط والتلاحم والتعاون والتحاب .

ومن ثم رغب الإسلام فى الصدقة أولاً إلى الأقارب وأفراد العائلة من الأخوة والأخوات وأبنائهم ، يقول النبى ﷺ : « **الصدقة تطفأ الخطيئة كما يطفئ الماء النار** » ، وكلما كانت فى السر كان ذلك أوقع لحساسية العلاقات فى داخل العائلة الواحدة ، يقول الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ البقرة / ٢٦٣ .

٤ - التكافل الدعوى :

العلاقة بين الدعاة وحاملى الرسالة أقوى من التكافل العائلى ، فإنهم لا يتكافلون فيما بينهم عند النوازل والمصاعب فحسب ،



ولكن يحملون عبء بعضهم فى حب دفاق ، ويشاركون بعضهم فى مواجهة أعباء الحياة كالجسد الواحد ، فهم على متن سفينة واحدة تجتمع فيها كل أنواع التكافل الفكرى والمالى والاجتماعى والمعنوى والنفسى ، لأنفسهم ولأسرهم وعائلاتهم ، لأنهم تضمهم دعوة واحدة تتخطى كل الواجبات .

٥ - التكافل المجتمعى :

أو قل التكافل الاجتماعى ، بين أفراد المجتمع ، وهو ينطلق بعد التحقق بالأنواع السابقة ، فلا يقدر على فعله إلا من حققه أولاً فى أسرته وعائلته ودعوته ، وهو يقوم على ركنين :

الأول : طبيعة التكافل :

فى أنه ثورة على الطبقية ، وثورة على الاستعلاء ، وثورة على التسلط ، وهو جزء من المشروع الإسلامى الإصلاحى للأمة والمجتمعات ، حيث يتعامل مع الإنسان كإنسان بغض النظر عن نسبه وماله ومكانته الاجتماعية : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ الإسراء / ٧٠ .

﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات / ١٣ ، وقد مر بنا موقف أغنياء قريش والرد القرآنى البليغ .

ثانياً : إصلاح المجتمع :

فالتكافل بذرة لا تنمو إلا فى مجتمع طاهر ، من الظلم

والاستبداد والاضطهاد و الطبقية والجاهلية والاستضعاف ، فهذه كلها فيروسات تصيبه بالمرض والسقام والهزال ، وجراثيم تعجل بالقضاء عليه والفتك به ، يقول تعالى : ﴿ كُنتُم خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه ...﴾ آل عمران / ١١٠ ، فأخَّر الإيمان بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يستقر فى أفهامنا أن الطريق الصحيح بالإصلاح أولاً ، بتهيئة التربة أولاً ، حيث لا تسلط لنظام أو حاكم ، ولا فجوات بين الناس ، ولا سيطرة لأحد على أحد .

٦ - التكافل التربوى :

(رسالة الإسلام بناء للمجتمع كما هى بناء للفرد) ، هذا ما استقر عليه العلماء والخبراء والمتخصصون ، ومن ثم كان هناك تفصيل وتحديد لخطاب وواجبات كل من : الفرد فى ملكيته ، والأمة فى ملكيتها ، والدولة فى ملكيتها ، ولكن القرآن الكريم خاطب المجتمع فى هيئته الاجتماعية ، وليس الفرد أو السلطة ، مبيناً مهام هذه الهيئة فى :

* مهمة بناء المجتمع
* إقامة الدولة
* الإصلاح الاجتماعى
* تنفيذ القوانين
* الإعمار والتنمية



ولذلك كان الخطاب القرآنى للجماعة :

١ - ﴿ يا أيُها النَّاسُ إنَّا خلقناكم مِن ذكرٍ وأُنثى .. ﴾ الحجرات / ١٣ .

٢ - ﴿ ... وتَعَاونُوا على البِرّ وَالتَّقوى ﴾ المائدة / ٢٥

٣ - ﴿ ... هُوَ أنشأكُم مَن الأرض واستعمركُم فيها ... ﴾ هـود / ٦١

٤ - ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يدعُون إلى الخيرِ ويأمُرُون بالمعْرُوف وينهون عَنِ الْمُنكَرِ وأُوْلَئكَ هُمُ الْمُفْلحُون ﴾ آل عمران / ١٠٤ .

٥ - ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ ... ﴾ البقرة / ١٧٩ .

وقد حدد العلماء بعضاً من فروض الكفاية التى جعلها الإسلام على المجتمع لتسقط عن الفرد والدولة مثل : مكافحة الجريمة ومواجهة الفساد الاجتماعى وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية وحل مشكلة الفقر وفض النزاعات وتوفير الأمن الغذائى ، وكلها كما نرى صوراً من التكافل التربوى للفرد والمجتمع ، حيث يتحقق : التساند والتضامن والتعاضد والترابط .

٧ - التكافل السياسى :

والمشاركة السياسية من صور التكافل بين أفراد المجتمع ، ويتمثل ذلك فى ثلاث أمور :



١ - الشورى :

يقول تعالى : ﴿ ... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الشورى / ٣٨ ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ... ﴾ آل عمران/ ١٥٩ .

٢ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

فالإصلاح السياسى أمر الله به الرجال والنساء ، يقول تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ التوبة / ٧١ .

٣ - المسئولية العامة :

يقول ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » وقوله ﷺ : « **من بات لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم** » .

٨ - وأخيراً حتى أعيادنا تكافل:

الجمال فى التكافل أنه ليس من يد إلى يد ، أو من فاضل إلى محتاج ، وإنما هو قرض لله تعالى ، حتى تكتمل السعادة لكل أفراد المجتمع ، الغنى مثل الفقير سواء بسواء .

فعيد الفطر يأتى بعد موسم للطاعات وهو شهر رمضان ، وعيد الأضحى يأتى بعد موسم للطاعات وهو العشر الأوائل من ذى الحجة ، حيث النفوس قد هذبت ، فلا يضيع حق الفقراء فى المجتمع ، ولا يتسرب الغل والحسد والحقد إلى قلوبهم ، فترفرف السعادة على جميع أفراد المجتمع ،

حتى سنة الأضحية توزع على الفقراء والمساكين ، ولإدخال السرور على القلوب ، ولكى يعيش المجتمع فى أمان واستقرار .

* * *



١٠ـ التعاطف

التعاطف من أعماق النفوس

فالتعاطف يرجع أساساً إلى النفس العالية ، والصافية ، والنقية ، يقول تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها ۞ وقد خاب من دساها** ﴾ الشمس / ٩ : ١٠ ، ولذلك فالتعاطف مكتسب ، لقول النبى ﷺ : « **إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم** » ، كذلك التعاطف فالمتعاطف لا يتجاهل عواطفه فهو يعبر عنها بسلاسة ، ولا يكبتها بل يطلق لها العنان ، لأن من تفهم عواطفه يستطيع أن يتعامل بها فى ايجابية ، ومن يقرأ مشاعره بوعى وإدراك ، فإن سلوكه يوافق مشاعره ، وبذلك يضع قدمه على أول طريق التعاطف .

ماذا يحتاج التعاطف الناجح منا ؟

لكى نمضى قدماً فى طريق التعاطف ، علينا تحقيق إجابة السؤال السابق ، وما يحتاجه منا التعاطف خمسة محطات فقط :

المرونة : لأن الجمود بلادة فى العواطف ، وحاجز قوى يحول دون شعور الإنسان بنفسه ، فما أدراك بغيره ؟ ، ولأن التقليد سد آخر منيع يجعل الإنسان بلا هوية أو شخصية ، فكيف يتعاطف ، وهو ليس هو ! ؟ .

التفهم لمشاعر الآخرين : فإن قطع الإنسان المحطة الأولى وتجاوزها ، فهو فى طريقه بأمان للمحطة الثانية ، فيبحر فى أعماق الآخرين ، متفهما مواقفهم وأقوالهم وسلوكهم ، وهذا مطلب كل واحد منا يريح نفسه وكيانه .

لا حكم مسبق على أحد : فقد ننجح فى المحطتين الأولى والثانية ، وعند الثالثة نتعثر والسبب أننا صنفنا من نتعامل معه بحكم مسبق ، فنكون كمن قارب من نصف الطريق ثم تراجع .

الرحمة : يقول تعالى واصفاً قدوتنا الحبيب صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ آل عمران / ١٥٩ ، ومن هنا يبدأ الاحتضان العاطفى ، ليس بالأقوال والكلمات والاستجابات العاطفية ، بل بالسلوك العملى الايجابى ، الذى ينفذ إلى نفسه وقلبه وكيانه .

روح الفريق : من الملامح المهمة فى روح الفريق تقبل الرأى الآخر بحب وشوق وارتياح ، والاعتراف بالخطأ فهو شجاعة لا تتحقق إلا فى فريق متجانس ، ثم الأسلوب الهادئ اللين العاقل الذى يملك النفوس ويأسر القلوب ويسحر الألباب .

***



كيف يحق لك القول :
أنى متعاطف ؟
فن الإصغاء لا يكتمل إلا بالتعاطف

فقد أضافوا التعاطف كشرط رابع لتحقيق الإصغاء الذى هو سماع واستماع وإنصات ، وقد أضافوه مع شرائح معينة نتعامل معها كالأبناء والآباء والزوجان ، لأن هؤلاء هم من يكثر التعامل معهم فى يومنا وليلنا ، ثم انسحب بعد ذلك التعاطف على من نتعامل معهم ونقضى معهم أكثر أوقاتنا كزملاء العمل والدراسة والمسجد ، وأقران الأنشطة التطوعية والنوادى الاجتماعية ، وأقرب الجيران والأقارب .

فمشاعر التبرم والضيق والغضب وغيرها من الانفعالات ، لو وجدت من يتعاطف معها من أول لحظة لاختفت الكثير من المشكلات فى حياتنا ، ولذلك فالتعاطف يحتاج منا لكى نحققه أن نبتعد عما يعوق وجوده من حالات الغضب والاضطراب والحزن ، وأن نجتاز درجاته بأمان .



فما درجات التعاطف ؟

متى يستطيع أحدنا أن يقول للآخر أو لشخص ما :
أنا أفهمك .
أنا أشعر بما تحس به .
أنا أفهم ما يدور بداخلك.

وفى كل تعبير من التعبيرات السابقة درجة من درجات التعاطف ، فالأولى إحساس ، والثانية مشاركة وجدانية ، والثالثة تعاطف : كيف ذلك ؟

الدرجة الأولى : الإحساس

هو شعورك بمن تعامله ، إحساسك بأنك لست وحدك ، هذا أول الباب ، إن الذين يفتقدون هذا الإحساس هم المنغلقون ، لا ينظرون إلا لأنفسهم ، أولمصالحهم ، أولذواتهم ، فهم لا يسمعون ، ولا يبصرون ، إن طريق التعاطف يبدأ اولاً من الإحساس بالآخرين .

الدرجة الثانية : المشاركة الوجدانية

وهى ايجابية الإحساس ، فما قيمة الإحساس إن لم يتحول إلى مشاركة وجدانية ، فتحزن لحزن الآخرين ، وتبكى لبكائهم ، وتفرح لفرحهم ، وهذا ينمو فى الإنسان بصورة طبيعية حينما يبلغ الشهرين من عمره ، فتراه يبكى إذا سمع بكاءً ، ويصرخ إذا سمع



صراخاً ، وينزعج إذا رأى توتراً ، فالعجب ممن يقول : لست أجيد هذا الأمر وهو ممارسة الأطفال ! .

الدرجة الثالثة : التعاطف

وهى التعرف أكثر على أفكار ومشاعر الآخر ، أى أكثر من المشاركة الوجدانية ، فهو يحمل نية المساعدة فى الخير والصلاح ، وتقديم التضحيات ، وتحمل المصاعب من أجلها ، فهى استجابة على فهم ما بداخل الآخرين ، وتقديم سلوك مناسب بشكل مناسب ، فما معنى ذلك ؟ ، وهذا ما أطلقوا عليه : الاحتضان العاطفى لا الجسدى ! .

فما الاحتضان العاطفى ؟

فى مجال التعامل بالمشاعر وفق الدرجات السابقة ، يدور فى ذهن كل منا عدة أسئلة ، أولها : ما الذى يعنيه هذا الشعور الذى أراه فى الآخر ؟ فإذا قويت الصلة وامتزجت المشاعر وارتقيت فى الدرجات ، كان التساؤل الثانى : ما الذى أراه من خلال روح الآخر ؟ ، ثم يأتى السؤال الثالث مباشرة : ما الذى أقدمه من سلوك للتعاطف معه ؟ .

وهذا بدوره ينطلق من خلال تعاملك مع : شعوره وفكره وسلوكه ، أو بالتحديد : تفهمك بدقة لما فى مشاعره ، وقراءتك لما يفكر فيه ، وسلوكك الذى ترد به على سلوكه ، وسلوكك لا



يخرج عن أمرين : إما مساعدته والتعاطف معه ، وإما حمايتك منه إن كان معادياً ، يضمر لك الشر .

وبذلك فالاحتضان العاطفى احتضان واعى ومبصر ، وهو أصل الدعوة إلى الله ، يقول تعالى : ﴿ ... أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴾ يوسف / ١٠٨ ، فالتعاطف من خلال هذا المفهوم ، ليس هدفاً وإنما هو وسيلة لتحقيق أهداف التعاطف ، وهى فى نفس الوقت مقياس للاحتضان العاطفى ، من :

* توسيع المعرفة السلوكية بالناس والمجتمع .
* تفهم الناس ومعرفة السبب الرئيسى لسلوكاتهم .
* تقديم المساعدة الحقيقية الواعية فى حل مشكلاتهم .

من أجل نجاح التعاطف

هل يمكن لأحدنا أن يصل إلى درجة التعاطف ثم لا يحققها ؟ ..... ، ولم لا ؟ فسنة الله التى لا تتبدل إذا وصل أحدنا لتحقيق شئ ما ، عليه أن يحافظ عليه ويتمسك به ! ، وهذا هو ما نقصده من نجاح التعاطف ، ولكى نحافظ عليه ، علينا أن نبتعد عما يضعفه من فيروسات مدمرة ، وهى سبع خبيثات مهلكات يجب أن نحذرها :

١ - عدم الموضوعية : بمعنى المعاملة بالمثل أو المعاملة وفق الماضى.



٢ - **عدم التسرع** : سواء كان فى الحكم على الآخرين أو فى أسلوب سلوكنا .

٣ - **الابتعاد عن الانفعالات** : خاصة الغضب أو الحنق أو الضيق أو التبرم .

٤ - **عدم الوعى** : بمعنى عدم الإفصاح منا عن كل مشاعرنا فالأيام دول .

٥ - **عدم تبنى وجهة نظرنا** : بل تبنى وجهة نظر الآخرين وأفكارهم

٦ - **الابتعاد عن التعاطف الوظيفى** : أى الشكلى أوالظاهرى أوالروتينى.

٧ - **الابتعاد عن الجمود والبرود أو الشفقة والرأفة** : فخير الأمور أوسطها .

هذه السبعة هى المسئولة عن اختفاء التعاطف فيما بيننا كأفراد ، وبيننا كمجتمع ، بل على مستوى المجتمع الدولى ، ولذلك فقد حل محلها : التخاصم والتصارع والتعارك والتحارب والتقاتل .

كيف نحقق التعاطف ؟

أو بمعنى آخر ماذا يحتاج الإنسان من التعاطف ؟ ، كل إنسان يحتاج **أولاً** : إلى إدراك مشاعره ولو بهذه العبارة (أراك منزعجاً) ويحتاج **ثانياً** : إلى تفهم مشاعره دون الحكم عليه ولو بهذه



العبارة : (أدرك أن الأمر مزعج لك) ، ويحتاج **ثالثاً** : إلى تعاطف مع مشاعره ومساعدته ولو بهذه العبارة : (أفهم ما تشعر به فقد مررت به) ، فمنطلق التعاطف حيث تتحقق هذه الأجواء اللطيفة : لا قلق ، لا حزن ، لا خوف ، لا نفسيات منخفضة ، لا انفعالات ، لا اضطراب .

وبأسلوب المخالفة : إذا أردت أن تزعج الآخرين ، ولا يتعاطف معك أحد ، ولا تتعاطف مع أحد ، فافعل الآتي :

١ - تجاهل مشاعره:

فإذا قابلت إنساناً حزينا ، قل له : لماذا العبوس ؟ ، يا هذا ابتسم ، فإن ذلك يزيده عبوساً وحزناً .

٢ - أخبره أن مشاعره غير طبيعية :

حتى ولو بنية التخفيف عنه ، فقل له : أنت حساس زيادة عن اللزوم ، فإن ذلك يزعجه لأنه اتهام له فى الحقيقة .

٣ - علمه كيف يشعر :

بل يجب عليك أن تعلمه حتى تتأكد من إزعاجه ، فقل له : لماذا تقوم بهذا العمل ؟ ، أنا لا أرى فيه شيئاً يستحق الإعجاب ! ، ففى ذلك اعتداء على شخصه واستقلاليته واختياره .

التعبير عن المشاعر غير الحكم بالمشاعر :

شتان بين العبارتين ، فكل واحدة منهما تحمل معنى غير الثانى تماماً ، فالتعبير يريح الآخرين أما الحكم فإنه يزعجهم ويقلقهم



ويستفزهم ، ونعطى فى ذلك مثالاً ، قد نمارسه بعموية دون أن ندرى أثره القاتل لدى الآخرين ، فحينما يحكم أحدنا على أحد يقول : (أنت لا تحترمنى) ، فهى تستفز الآخر ، ويبدأ فى الدفاع عن نفسه ، أما إذا عبر أحدنا عن مشاعره فقال : (أنا أشعر بعدم الاحترام عند هذا التصرف معى) ، فإن ذلك يجعله يتأسف ويعتذر ، ويمتد التواصل ولا ينقطع .

ولذلك كلما كان الإنسان مستقراً عاطفياً استطاع أن يعبر عن مشاعره ، ولا يحكم على الآخرين ، بل إنه يتعاطف مع غيره ولو لم يفصح بالكلام ، ويتعاطف معه غيره ولو لم يتكلم ، أى ما يسمى بقراءة المشاعر من تعابير الوجوه ، فقد قالها الأعرابى حينما أفصح عن سر إسلامه لما رأى وجه النبى ﷺ قائلاً : ليس هذا بوجه كاذب إنى أرى الصدق فى وجهه ! .

وقد أجريت حديثاً عدة تجارب تؤكد هذه الحقيقة ، منها : تم عرض شريط فيديو لمدة ٤٥ دقيقة لحركات أشخاص وتعابير وجوههم فى حالات شعورية مختلفة ، وطلب من ٧٠٠ مشارك من ١٨ دولة ، أن يحددوا الحالة الشعورية من خلال قراءة لغة الوجوه ، تبين أن المشاركين الأكثر استقراراً فى حياتهم العاطفية ونجاحاً فى تعاطفهم مع الآخرين ، هم الذين حققوا أعلى نسبة فى القراءة الصحيحة لحركات وتعابير الآخرين .

وفى تجربة أخرى حيث كان يمتلك النساء شعور قوى بأنهن



يحصلن دائماً على أقل درجات من الرجال ، أجرى اختبار مرة بين مجموعة من تلك النساء ، وأخرى جديدة ، ولم يخبرن بهذا الشعور من قبل ، فإذا باللاتى لم يخبرن تساوت درجاتهم مع الرجال أو زادت بعضهن ، والسبب فى ذلك الحكم المسبق من مشاعرهن قادهن إلى سلوك يوافق المشاعر المنخفضة .

وبالعكس اصطحاب مشاعر ايجابية يسوقها إلى النجاح فى أعمال درجت على الفشل أو عدم التفوق فيها ، فقد أخبر أحد المديرين ثلاثة مدرسين بأنهم اختيروا لتميزهم لتدريب ثلاثين طالبا اختيروا أيضا لتميزهم ، فكانت النتائج باهرة ، وما كان من المدير إلا أن أخبرهم بعد تكريمهم بأن الاختيار كان عشوائياً بالنسبة للمدرسين والطلاب ، وكان السر فى النتائج الباهرة هذه المشاعر الايجابية التى عمل بها المدرسون والطلاب .

حتى مقاومة الجسد للأمراض ثبت بالدراسات التجريبية أن من يتعامل بالتعاطف والمشاعر أقوى ممن لا يتعامل بها فى صحته وعافيته ، لأن من لا يتعامل بالتعاطف يحيط نفسه بضغوط من التسلط وتجاهل الآخرين وكبت مشاعره وما يصاحب ذلك من انفعالات شتى ، هو فى غنى عنها إن تعامل بالتعاطف ، وصدق الله العظيم وهو يقول للنبى الكريم ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ آل عمران / ١٥٩ .



فماذا ننتظر؟ وما يؤخرنا عن التعاطف ؟

أو بصيغة أخرى للسؤال مم نخاف ؟ حتى لا نتعاطف ؟ ، ما رأيت إجابة شافية على تساؤلنا إلا فى قول النبى ﷺ · « **بادروا بالأعمال سبعا ، فهل تنتظرون إلا** : ... » ، فعلمت وفهمت وأيقنت أنها تخوفاتنا السبعة ، التى تجعلنا متسرعين ، متعجلين ، ولا نتعاطف ، أو نفكر أصلاً فى التعاطف ، مع أن التعامل الايجابى معها يدفعنا إلى التعامل بالمشاعر و التعاطف ، هذه السبع هى :

الخوف من الفقر ، والخوف من فقدان المال والغنى ، والخوف من المرض ، والخوف من الشيخوخة ، والخوف من الموت ، والخوف من الدجال ، والخوف من الساعة .

فإما هذه التخوفات تؤخرنا عن التعاطف بالحرص على الدنيا والطمع ورغائب النفس واتباع الهوى ، وإما بالمبادرة بالأعمال الصالحة وأعظمها التعاطف مع الآخرين ، فإما المبادرة وإما الخسارة ، فماذا ننتظر ؟ .

***

ثانياً
الطريق إلى مجتمع آمن مستقر

الطريق إلى تآخي المجتمعات
الطريق إلى ربانية المجتمعات
الطريق إلى وحدة المجتمعات
الطريق إلى سعادة المجتمعات
الطريق إلى نجاح المجتمعات

الطريق إلى تآخى المجتمعات

سأجرب وأترك العنان لقلبى وخواطرى بالتعبير فقط ، لأن الأخوة من الموضوعات التى لا تحتاج للكلام بقدر ما تحتاج للعمل والتطبيق .

وإن كان المتحدثون عن الأخوة غاية ما يتحدثون عنه : أهميتها وحاجتنا إليها ، وتأصيلها بالآيات والأحاديث ، وثمارها للفرد والمجتمع ، وفضلها على حياتنا وأمتنا ، وكل هذا مطلوب وملح ، ولابد أن يفهمه الناس من أجل التطبيق فى وعى والعمل على بصيرة ، فقلت فى نفسي سأتحدث عن الشئ الذى يجمع كل ذلك ، وتساءلت لماذا نتحدث عن البيت ولا نتحدث عن الطريق إليه ، لماذا نتحدث عن البيت ولم نصل إليه ، ولا نعرف الوصول إليه ؟ .

ولنشرع فى الحديث عن الطريق للأخوة الذى إن سلكناه تختفى هذه الصور الكريهة التى نراها فى أنفسنا ومجتمعنا وأمتنا وعالمنا ، وهى أربع علامات على الطريق ، تتمثل فى : الاجتماع والالتقاء والتوحد والتعهد .

العلامة الأولى : الاجتماع :

الاجتماع : فهو اجتماع واحد لا يماثله اجتماع ، لأنه اجتماع



على محبة الله ، فهل يماثله اجتماع على وجه الأرض ؟ ، إن من يسكن أوربا أو آسيا أو أفريقيا أو أمريكا كلهم فى هذا الاجتماع الدائم ، ﴿ ... أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ... ﴾ المائدة / ٥٤ ، باتباعهم للنبى ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴾ آل عمران / ٣١ ، قضية هذا الاجتماع أن يحبنا الله ، ولن يحبنا إلا بهذا الاجتماع : ﴿ ... يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ...﴾ المائدة / ٥٤ ، ترفرف على جنبتى الاجتماع الجنة لماذا ؟ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... ﴾ التوبة / ١١١ .

وهذا يحتاج منا إلى تضحيات بكل شئ لنحقق محبة الله ، بالدنيا بالمنصب بالمال بالنفس بالولد بالمصلحة ، جرت مسامرة عن المحبة فتكلم الشيوخ وكان الجنيد أصغرهم سنا ، فقالوا هات ما عندك ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ، ولله ، ومع الله .

الذين يحبون أمريكا ، هل صدقوا فى حبهم أم ينشدون المال أو المنصب أو المصلحة ! ، وهى التى يصبها الله على أحبابه لأنهم تركوها وزهدوا فيها ، فلا تراهم يجتمعون عليها ، إنما يجتمعون على محبة الله وحده .



والعلامة الثانية : الالتقاء :

الالتقاء ، والالتقاء الحقيقي الذي هو على طاعة المحبوب تعالى ، فمن محبة الله ، يكون أحلى لقاء ، على الإخلاص والصدق والتجرد ، على الابتلاء والمحن والمصائب ، على تحرى الحلال والالتزام به ، على تجنب الحرام والنهى عنه ، فالمسلم فى أمريكا لا يأكل الخنزير ، كما أخوه فى الصين لا يشرب الخمر ، والحلال بين والحرام بين فى كل بقعة على الأرض ، والصلوات الخمس خمس فى كل البقاع ، والقبلة واحدة لجميع المسلمين ، ﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف / ١١٠ ، يكفى أن اللقاء فى الطاعة لا يعرف التوقف : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ... ﴾ الأحزاب / ٣٦ .

والعلامة الثالثة : التوحد :

التوحد على دعوة الله ، وهى رسالة الاسلام ، فهما وعملا ونشرا ، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف / ١٠٨ ، ماذا تفعل أمريكا فى العراق ؟ استغلت عدم التوحد على دعوة الاسلام ، وألقت بالسلاح الذى كان الأولى أن يوجه إلى المحتل ، ألقت به ليوجهه الأخ فى صدر أخيه ، فهلا انتبه المسلمون إلى السلاح القوى الذى منحهم إياه الله تعالى ! ، واسرائيل تعبث بعملائها كما يحلو لها



الذين يطلقون عليهم زورا (الرموز التاريخية) ، وتلهو بأمتنا كما تشاء بالخونة الذين يطلقون عليهم كذبا (الرأى الآخر) ، وتهدم الهوية والمقدسات وتنال من الاسلام ونبيه بالمهرجين الذين يطلقون على أنفسهم تدليسا (الحرية الشخصية) ، وطريق الأخوة واضح وظاهر ، فلماذا لا يتحد الأخوة الدعاة ؟ ورسالة الإسلام شاملة جامعة : فالصوفى يجد الصوفية فى الاسلام ، والسنى يجدها فى الاسلام ، والسلفى يجدها فى الاسلام ،والشيعى يجدها فى الاسلام ، و الاقتصادى يجدها فى الاسلام ، والرياضى يجدها فى الاسلام ، والفنى يجدها فى الاسلام ، والاعلامى يجدها فى الاسلام ، والاجتماعى يجدها فى الاسلام ، فالاسلام يتناول كل مظاهر الحياة ، والتوحد على دعوة الله ، هو الطريق للأخوة .

والعلامة الرابعة : التعهد :

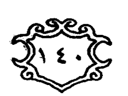
التعهد على نصرة الاسلام وشريعة الله تعالى ،أمام هذا التجمع الرهيب اليوم على الاسلام ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال / ٧٣ ، بمؤازرة من حكام رضوا بالذلة وباعوا عقيدتهم وتخلوا عن دينهم فأعلنوا جميعا محاربة الاسلام ، فى صور مختلفة : إما إبادة وذبح وسحق وقتل للبلدان المسلمة فى حرب ينزع فيها السلاح عن المسلمين ، وإما بحرب يقودها الحكام ضد شعوبهم ورموزها



الاسلامية ، كل ذلك فى ظل مؤامرات مخططة محبكة للغزو الثقافى والفكرى لإحداث خلل عقلى فيصنع إنسان لا صلة له بتاريخه أو لغته أو دينه أو حضارته ، أو نشر للانحلال والاباحية والالحاد بوسائل متعددة وبشعارات زائفة ، أو طمس للهوية باسم تطوير التعليم ومحاربة الحجاب وتحرير المرأة من دينها ، أو إثارة الفرقة والقطيعة على كافة المستويات بنشر بدعة الإرهاب ، التى هم أول من يمارسها .

والدليل على ذلك ما يحدث اليوم فى فلسطين ، من اقتتال يبدو للناس وهكذا أرادوه بين الفلسطينيين ممثلا فى فتح وحماس ، من أجل السلطة ، وهو فى حقيقته بين الفلسطينيين والعملاء ، فى مؤامرة للخونة تقودها اسرائيل ، للتعميم على الاحتلال والجرائم .

هذا هو طريق الأخوة ، لنصل إليها وهنالك نتحدث عن لذتها وجمالها وفضلها وثمرتها وقوتها ، من توثيق رابطتها ، واستمرار مودتها .

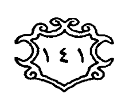


الطريق إلى ربانية المجتمعات

الربانية طريقنا للحرية :

من لا يطلب منا أن يعيش حرا ؟ ، فى ماله ، فى انتقالاته ، فى تعبيره ، فى آرائه ، فى إرادته ، فى اختياراته ، فى كل شئ ، إن الحرية هى الحياة الحقيقية التى يحياها الإنسان ، والطريق إلى الحرية هو الضمان الوحيد للحصول على الحرية والتمتع بها ، ولا أجد وصولا للحرية إلا عن طريق الربانية ، فمن الربانى يبدأ طريق الحرية ، و الربانى رجلا أو امرأة هو الذى ينتسب لربه ، وهل هناك انتساب أشرف وأكمل وأجمل من الانتساب لله تعالى ، نقول شيوعيا إذا انتسب للشيوعية ، وكذلك علمانيا أو حكوميا ، أو سلطويا أو أمريكيا ، أو إسرائيليا ، أو غير ذلك كثير ، فهل انتفع هؤلاء بانتساباتهم ؟ ، إن كل ما حصلوا عليه من مال أو منصب أو وجاهة أو متاع أو أمن أو أو ، لا تساوى شيئا بجوار فضل الله تعالى ، ولذلك كان الانتساب لله تعالى انتساب فى الحقيقة لصفات الكمال ، حيث العلم بالله ، والتميز الخلقى ، والقدوة للناس :

﴿ . . . وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران / ٧٩ .



﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ... ﴾ المائدة / ٦٣ .

وبالتأمل فى الآيات نجد أن الربانى هو عالم واعى ، وعابد طائع ، و داعية مربى ، يجتهد لربه كما يجتهد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد حددت الآية موضعين يؤدى فيهما الربانى مهمته فى المجتمع :

قول الاثم :

وهو اليوم ممثل فى الآلة الإعلامية المضللة التى تثير الشبهات وتنشر الشهوات بكل أنواعها المرئية والمسموعة والمقروءة .

أكل السحت :

والممثل اليوم فيما نراه من نهب منظم ، ولصوصية مقننة ، وفساد مشروع ، وامتلاك نسبة لا تتعدى ربع أصابع اليد لكل ثروات الأوطان ، وأكثر من نصف الشعوب تحت خط الفقر والباقى فقير .

١ـ بالربانية نتحرر :

رضى الله عن على بن أبى طالب وهو يعرفنا بالتقوى التى هى عنوان الربانى منا :

(الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل) .

أليست هذه الممارسات تعنى التحرر من الخوف من الناس أو



من انقطاع رزق ، أو من ذهاب حياة .

فمن الذى يكبل حريتنا ، ويقيد فى الأصل حركتنا ؟ ، أليس كل منا مسئول عن ذلك ؟ ، فباستطاعتنا نسف الشهوات والهوى والدنيا والنفس والذنوب والمعاصى ، تلك القيود التى نضنعها بأيدينا ، ولا مفتاح للحرية من هذه الأغلال إلا بالربانية ، فالله فتح لنا فى كل لحظة من حياتنا اليومية طاعات نستطيع أن نسلك بها طريق الربانية : من صلاة الإشراق : « **فمن صلى الصبح فى جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تشرق الشمس ثم يصلى ركعتين فله أجر حجة وعمرة** » ، هذا ما أبلغنا به النبى مؤكدا على الأجر بقوله : « **تام تام تام** » ، ثم صلاة الضحى وصلاة الوضوء وصلاة السفر وصلاة الليل، ثم أعمال الحسنات من الصدقة والدعاء والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ، وتدبر القرآن ، والصيام ، والذكر .

فمن القلب النقى الطاهر نتحرر من الغل والحسد والرياء والشرك والحقد وحب الدنيا والركون إلى الظالمين والنفاق والتملق ، هنالك يكون الانطلاق ، حيث لا انطلاق لمكبل ، ولا حركة لمقيد .

٢ - بالربانية نتعامل مع السنن :

﴿ ... **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ فاطر / ٤٣ ، فهى سنن ماضية ، واقعة على البشر جميعا ، الربانى يفهمها ويحسن

التعامل معها و يوظفها لنفسه ولأمته ، خاصة سنة التغيير الفردى والجماعى :

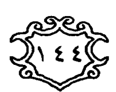
﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ الرعد / ١١ .

ولما حقق أوائلنا ذلك فتحوا الأرض بالإسلام ، ولقد أخذت أتأمل موقف أبى الدرداء يوم فتح قبرص ، وقد فرق بين أهلها وأخذوا يبكون ، وجلس أبو الدرداء يبكى ، فقيل له أتبكى يوم فتح الله على الاسلام وأهله ؟ فقال لهم بنداء الربانى الذى يفهم السنن :

(ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره بينما هى أمة ظاهرة قاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما نرى) .

فتذكرت أمريكا التى أعلنت الحرب علينا لنهب ثرواتنا لنضوب الطاقة لديها ، فأصبحت مهددة بالاختفاء والانزواء ، عما قريب مثلها مثل الاتحاد السوفيتى!! خاصة بعد تركها لأمر الله وارتكابها لكل الموبقات فى داخلها أو على المستوى الدولى من قتل وسحل واحتلال وترويع وهيمنة.

فإن كانت السنة ماضية ، فهى لا يكون لها وجود إلا على يد الربانيين وإلا كانت السنة علينا ، فقد سألت أم المؤمنين زينب بنت جحش رسول الله ﷺ : أنهلك وفينا الصالحون قال : « **نعم إ كثر الخبث** » .



٣ - الحاكم الربانى ينشر الحرية :

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾ الحج / ٤١ .

هذا حاكم ربانى نشر الحريات وفجر طاقات شعبه ، طالبا منهم العون وهم الذين جاءوا يطلبون منه العون فى صد فساد يأجوج ومأجوج ، ولكنه تواضع الربانى حتى ولو كان حاكما ، نعم إنه ذو القرنين .

لقد خيره الله عندما ذهب إلى قوم لا يفقهون قولا ، بأن يعذبهم أو يتخذ فيهم حسنا ، فاختار العدل ونشر الحرية ﴿ ... أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف / ٨٧ : ٨٨ ، نيسر للمؤمنين حرياتهم ولا نحظر عليهم أمراً ، نيسر لهم حرية الرأى والتعبير والتنقل والمشاركة وأداء مهتهم ، ونعلن ذلك ونجهر به ، غير عابئين بأية ضغوط مهما كانت .

فالحاكم الربانى لا يجمع الأموال ولا يستغل منصبه فى النهب والسلب ، لقد جاءوا بأموالهم بين يدى ذى القرنين لصد الفساد فأبى : ﴿ ... فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ الكهف / ٩٤ .

قال : ﴿ ... مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ... ﴾ الكهف / ٩٥ .

٤ - دعوة ربانية ورجل ربانى :

●● يقول الإمام الشهيد حسن البنا :

(أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية)

(أما إنها ربانية :

فلأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا جميعا هى :

أن يسير الناس إلى ربهم

وأن يستمدوا من هذه الصلة روحانية كريمة ، تحول فى الإنسان المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها)

(ونحن نقول من كل قلوبنا : الله غايتنا)

فعلمت ان الربانية هى السر فى بقاء هذه الدعوة رغم الأعاصير الهادرة ، بل إن السر فى الامتداد العالمى يبدأ من الربانية كذلك ، ولو علم أعداؤها ذلك لوفروا جهودهم الضائعة ، وأموالهم المهدرة ، لسبب واحد أنها ربانية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ... ﴾ الأنفال / ٣٦ .

ورجل ربانى قاد الدعوة بربانية : بدعوة الناس للسير إلى ربهم ، ليستمدوا من جمال الاتصال قوة روحية ، يواجهون بها المشكلات والمصائب والأزمات والمادية ، ولا حل ولا مفتاح إلا بذلك ، مذكرا بأن أهداف هذه الدعوة تذكير الناس بالصلة التى



تربطهم بالله تعالى .

٥ ـ دعاة ربانيون :

فما أحوج دعوة الإسلام إلى الدعاة الربانيين ، لما نزل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ  ﴾ الحديد / ١٦ ، يقول ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين .

هذه هى حساسية الربانيين مع ربهم ، وحاجة الدعاة للربانية أحوج من غيرهم فهم معلمو الناس ، وهم مربو المجتمع ، فهم أحوج إلى صلاح قلوبهم ، والاستزادة الدائمة ، يقول سعيد بن جبير : لا يزال الرجل عالما ما تعلم فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل الناس .

فعدو الربانية أن نكتفى ونستغنى ظانين أننا قد وصلنا ، وهو وقوف وتوقف فى حقيقة الأمر .

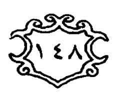
ولذلك فليحذر الدعاة من الصوارف القاتلة من الشهوات والفتن التى تشوش القلوب ، ونقول يادعاة تحنظلوا ، كونوا مثل حنظلة ، الذى جاء يتحصن من الفتن والشهوات ، ولا تكثروا من الجدال والتنازع فى المسائل المختلفة فإنها فى غير الأصول تقسى القلوب وتورث العداوة .

وليحذر الدعاة من ممارسة أى تميز وكلهم متميزون ، دون أن

يكون ذلك فى منظومة الإسلام ككل ، فلا تنفع ممارسة السياسة بلا ايمان ، وكذلك العمل الاجتماعى ، أو الرياضى ، أو الفنى ، أو الاقتصادى ، أو الإعلامى ، ولنتذكر قول أمير المؤمنين عمر : (إن نمت بالنهار ضيعت أمتى ، وإن نمت بالليل ضيعت نفسى) .

ولنتذكر يادعاة بأن من خصائص دعوتنا أنها (حقيقة صوفية) ، فلا تغيب عنا ، لأنها باب الربانية .

* * *



الطريق إلى وحدة المجتمعات
الطريق إلى الوحدة ..
سبيل نصر الأمة ..
روح المستقبل ..

من المصطلحات التى سرت اليوم فى أمتنا وفى دولنا : حكومة الوحدة الوطنية ، مثلها مثل قوات التحالف ، هذا احتلال وهذا غطاء للاحتلال ، وبعيدا عن الأجواء المشحونة بالانفعالات أو بالمجاملات ، نريد أن نتحدث عن المخرج لما فيه مجتمعاتنا ، وهل وصل الأمر كما يصدعون رءوسنا بالفعل إلى طريق مسدود ، فنقنع بالواقع ، ونترك النهضة ، ونراهم ينهشون فى جسدنا ويتلذذون بلحومنا ونحن مبتسمين فرحين ؟ ! .

ولا مخرج لأمتنا وخاصة ما وصل إليه الأمر فى قضيتنا المحورية فلسطين إلا بأن نتلمس الطريق إلى الوحدة ، فكلنا مقتنعون بالوحدة ولكن لم يسلك أحد طريقها ، كتائه فى الصحراء يصرخ بها دون جدوى ، لا يسمع إلا صدى صوته ، ولا يتردد فى جوفه سوى خوفه ، فهل نحن راغبون فى أن نسلك طريقها ؟ وهل نحن مقتنعون بأهمية السير فى طريقها ؟ وهل نحن متصورون بأنها قد تقام فى قرننا ؟ رغم ما نراه من معوقات



وتحديات حتى لا نقترب من سلوك طريقها ؟ ، من حكام وأنظمة وعلماء ووجهاء وأدباء وإعلاميين ومفكرين ، ومسئولين جندوا أنفسهم لتنفيذ المخطط الأمريكى الصهيونى لتصفية أمتنا الإسلامية وقضايانا المصيرية دون أن يدروا ! .

بعد المكاشفات العالمية اليوم لا يوجد شئ اسمه أسرار ، وكذلك ونحن نواجه علينا بأن نتصارح إلى الحد الذى يدفعنا إلى الممارسة وكفانا أقوالا فإننى أشعر بأن حروف لغتنا قد ملت منا وسئمت من ألسنتنا ! ، فإذا اتفقنا على ذلك هيا نتعرف على الطريق إلى الوحدة .

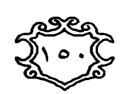
ملامح الطريق

أولا : الإيمان أولاً :

لابد من تعميق الإيمان فى القلوب ، حتى يمتزج بمشاعرنا وأحاسيسنا وأعصابنا ودماءنا ، لأن منه الانطلاق ، وهو أساس وحدتنا ، ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء / ٩٢ ، فهى دعوة للإيمان الحق ونبذ العمالة والخيانة والموالاة لغير الله .

ثانيا : ألفة القلوب :

بعد الإيمان ، القلوب المؤمنة لها دورها بالحب والتراحم والاعتصام بالله ، ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم



بنعمته إخوانا ... ﴾ آل عمران / ١٠٣ ، هذه النعمة لا تساويها أموال الأرض جميعا التي يسعى لجمع فتات منها أعداء الوحدة ، ﴿ ... لوْ أنفقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جميعًا مَّا أَلَّفت بين قُلُوبهم ولَكنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الأنفال / ٦٣ ، فعمل القلوب المؤمنة : الحب والتآلف والتراحم والتعاطف .

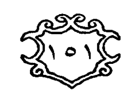
ثالثا : الأخوة الحقيقية

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ الحجرات / ١٠ .

من هنا يكون التعاون واللقاء والتحاور والنهوض معا لصالح الأمة لا لمصالحنا ، ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة / ٢ .

رابعا : نبذ الخلافات :

سنة الاختلاف ماضية ، الأمر ليس في وجود الخلافات ولكن في تحويلها للوحدة ولصالح الأمة ، بأمرين : بتركها جانبا أولا ، ثم بالتسامي عن مصالحنا من أجل أخوتنا وأمتنا ، ﴿ ... وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال / ١ ، والاستمرار لا يتحقق إلا بتمسكنا بالطاعة والصبر عليها مهما كانت التضحيات فلابد من دفع الثمن ، ومن أراد الأرقى دفع الأغلى ، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال / ٤٦ .



خامسا : الاتفاق على عدونا :

لماذا يطلقون علينا العدو ونحن مصرون على صداقتهم ؟ .

بل يحاكم بعضنا بتهمة الإساءة لدولة صديقة ؟! .

ماذا يا ترى تراهم يقولون عنا ؟

بلهاء حقراء سفهاء عقراء عتهاء ...... يقولون ما يقولون ، ولكن علينا أن نكون عقلاء فلنتفق على الحق فيهم ، ولا يصبح بيننا مؤيد ومعارض ، ﴿ ... فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون / ٤ .

الفهم قبل الوحدة :

حاجتنا إلى الفهم قبل الوحدة ، هوالذى يجعلنا نسلك طريق الوحدة بالتفاهم والتناغم والاتفاق ، هذه هى الروح المطلوبة ، التى تدفعنا للسير بقوة ، وما أروع صورة التفاهم فى هذا المشهد الأبدى ، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الفتح / ٢٩ . حيث لا عصبية ، لا فقدان للثقة ، لا للجهل والتسطيح ، لا للاختلافات الفقهية والمذهبية ، وهذه آفات الفهم ، التى تمنع اللقاء أصلا فما بالك بالوحدة ! ، وعليه لابد أن نلتقى على الأصول للخروج من الخلاف ، ثم تجنب أى بادرة لخلاف بنسيان أسباب الخلاف وإن كثرت ، ثم التركيز على أمر واحد لا نحيد عنه وهو الاقتصار على شريعتنا الغراء التى حددت لنا : ما المتفق عليه لنبدأ منه ، وما عدونا المشترك لنختصر



المسافات ، وما الأسس الأخلاقية : من الإخلاص والتجرد و ونبذ التعصب والمرونة وإحسان الظن ببعضنا ، لنجيب على السؤال الدائم المتردد فى أنفسنا :

هل يتحقق أمل الأمة بهذا التفرق الذى نراه ؟

نعم يتحقق ، فقد تحقق من قبل ، بالجهاد والمقاومة : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ... ﴾ الأنفال / ٣٩ ، فالوحدة فريضة شرعية ، وواجب علينا ، قبل الجهاد والمقاومة ، والمقاومة هى الاستمرار على الوحدة .

الوحدة قبل الجهاد :

حيث لا جهاد فى ظل التفرق والتشرذم والتقاطع ، والنصر لا يتنزل على قوم متفرقين ، والتأييد لا يكون لمتشاكسين ، وهى فرصة العدو للعبث بنا لضعف مناعتنا ، وقلة حيلتنا ، ﴿ ... هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال / ٦٢ ، وبعدها مباشرة تأمل قول رب العزة : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الأنفال / ٦٣ .

ويكفينا أن الله يحب الوحدة قبل الجهاد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ الصف / ٤ .

فلماذا لا نتأسى بأوائلنا الذين حققوا ذلك عمليا ؟ ، وما علينا إلا اتباعهم بإحسان ، بالصدق لا بالعمالة ، بالقوة لا بالوهن ، بالتجرد لا بالمصالح ، بالتحرر لا بالتبعية :



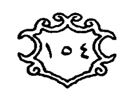
﴿... الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ...﴾ التوبة / ١٠٠ .

الجهاد يغسل الانحراف :

لماذا لا يقبلون بالوحدة ؟ سؤال اتضحت إجابته بعد تدبر قرآننا العظيم ، إنه فى الابتعاد عن الصراط المستقيم ، فهو أقرب الطرق إلى الهدف ، والوحدة هى الطريق ، لقوله ﷺ : الجماعة رحمة والفرقة عذاب ، ولا وحدة إلا بعد الابتعاد عن أسباب الانحراف : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى / ٥٢ .

فهى دعوة جديدة للابتعاد عن الانحراف السياسى والمالى والأمنى والاجتماعى والإيمانى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ...﴾ الأعراف / ١٥٣ .

والحل المطروح والمنطقى بالانخراط فى الجهاد والمقاومة ، ووقف نزيف دماء أبنائنا ونسائنا وشيوخنا ورجالنا ، وهى فرصة قبل فوات الأوان ، لنبذ الخلاف ، وعدم المجاملات فى الحق ، والتدرج فى التنفيذ ، وأن يتحمل بعضنا بعضا ، خاصة ومعنا كل عوامل القوة ونعرفها جميعا ، وندركها جيدا ، ونعلم طرقها جيدا ، من : التعاون الصادق ، والتناصح المخلص ، والتآزر النافع .



فماذا بعد انكشاف : أنظمة الحكم الفاسدة ، وهيمنة المستعمر الجديدة ، والمشروع الصهيونى الواضح ، إلا من سلوك طريق الوحدة ؟ ، والواقع يلح علينا بذلك : من فرقة أمتنا ، واحتلال أرضنا ، وضرب كل محاولة للوحدة ، والأوضاع الداخلية السيئة لبلداننا ، وهذه ليست دعوة للتشاؤم ، وإنما هى صحوة للنهوض ، وصيحة للقيام والحركة .

وهذا هو الأمل :

حين وصل الأمر إلى الاقتتال بين الفريقين المختلفين على صلاة التراويح سألهم الامام البنا ، أهى سنة أم فرض ؟ ووحدتنا سنة أم فرض ؟ ، فأدركوا الأمر، وقبلوا بإلغاء صلاة التراويح فى سبيل وحدتهم ! ، بهذا الفهم نواجه الاختلاف ، بفهمنا لمقصد سنة الاختلاف الربانية ، ﴿ إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ... ﴾ هود / ١١٩ ، للعبرة بثمار ونتائج الاختلاف : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ الحجرات / ١٣ .

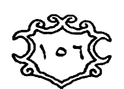
فما بقى أمامنا إلا الممارسة والعمل ، فأول اجتماع للجنة تحضير مؤتمر الوحدة العربية التى كانت نواة الجامعة العربية ، كان حول الوثيقة التى قدمها الامام البنا تتضمن الأهداف والسوق المشتركة وإزالة الحواجز وحرية السفر وتتمة صور التعاون .

ومن خلال هذه الوحدة نستطيع تحرير فلسطين بسهولة ،

ألست تتفق معى ؟

هذا عمل قدم منذ ٦٢ عاما فهل من معتبر ؟ !

* * *



الطريق إلى سعادة المجتمعات
يريدون وجه الله

هل نريد وجه الله ؟

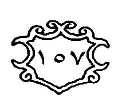
وكيف نريد وجه الله ؟

هل نعمل لوجه الله ؟

هل أحد اليوم حقا يعمل لوجه الله ؟ وهل بالفعل اختفت تماما من حياتنا عبارة : يريدون وجه الله ، مع أن الله تعالى قد ضمن كل خير لهؤلاء الذين يعلنون عن هذه الإرادة ، فى أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم ، فيقول تعالى : ﴿ ... ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الروم / ٣٨ ، هذا الضمان الربانى هو الطريق الوحيد للخيرات ، وقد جاء بهذه الإجابة القرآنية الواضحة والصريحة ، فإن سأل سائل : لمن هذا الخير ؟ تأتى الإجابة الفورية : للذين يريدون وجه الله ، فلماذا يحرم بعضنا نفسه من الخيرات ؟ وهل يكون هذا الحرمان من أسباب المعاناة التى يعيشها الناس اليوم ؟ .

كيف نريد وجه الله ؟ :

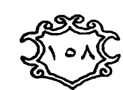
ولعل السؤال الذى يتردد فى داخلنا الآن : كيف نريد وجه الله ؟ وليس الأمر بمعضلة حتى نحتار فى الإجابة ، بل الإجابة



تقول : بإنكار الذات وفقط ، ففى الحديث : إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، وهذا يعلم الإنسان الصالح إرادة وجه الله على حقيقتها ، ويدربه على ابتغاء وجه الله فى كل لحظاته ، وهذا ما كان حيا فى حياة الأصحاب الكرام وهم يتعاملون مع خير الناس ﷺ ، فقد جاء رجل إلى رسول الله يقول : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فأجابه : لا شئ له ، فأعادها الرجل ثلاث مرات فكان رد النبى قاطعا حتى توقف الرجل عن تكرار سؤاله قائلا له : « **إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجه الله** » .

وفى مشهد آخر يأتى رجل ويتحدث فى جرأة وصراحة عن نفسه قائلا : يا رسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى ؟ فتلبث النبى فى الرد ، حتى نزل قوله تعالى : ﴿... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف / ١١٠، وبهذا تعمقت الحقيقة فى القلوب ورسخت فى النفوس كالجبال ، فكان اليقين بأن الآخرة خير وأبقى ، وبأن ما عند الله خير للأبرار .

وتساءلت فى نفسى : كم خسر هؤلاء الذين لا يريدون وجه الله ، فما فائدة عمل من أجل الافتخار ؟ وما فائدة فعل من أجل الاشتهار ؟ فهل نريد أجرا وربحا أم نريد بوارا وخسارة ؟ والحل فى هذا الأمر السهل : انكر ذاتك ، انكر عملك ، اكتم فعلك ،



اكتم صنعك ، فلماذا هو صعب على بعضنا ؟ .

فيا مسلمي اليوم ..

تأملوا موقف هذا الجندى الذى عرض نفسه لسهام الأعداء ولا يبالى بها حتى يحدث نقبا (فتحة فى الحصن) ، استطاع عن طريقها الجيش الانتصار ، ونادى القائد مسلمة بن عبد الملك : أين صاحب النقب ؟ فلم يجبه أحد ، فقال : إنى عزمت (حلفت) على صاحب النقب ألا جاء إلى ، فجاء رجل فقيل له : أنت صاحب النقب ؟ قال : بل أنا أخبركم عنه ، ويشترط ثلاثة شروط : لا يذكر اسمه لدى الحاكم ، ولا تسألوا من هو ، وألا تأمروا له بشئ ، فلما قال القائد : فذلك له ، قال : أنا صاحب النقب ثم ولى مسرعا ، فكان مسلمة لا يصلى صلاة إلا ودعا : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب يوم القيامة .

ويا دعاة اليوم ..

لم يكن هذا تاريخاً وانتهى بل هو الرد على ما تطلبه نفوسنا من حب الشهرة ، والجرى وراء المكافآت ، فالظاهر أعمال وأفعال وطاعات ودعوة وجهاد وخدمات ، وفى الباطن : مغنم ومكانة ومصالح ، وقد فصل الأمر إمام الدعاة رسول الله فى إجابته الصريحة لمن سأله : يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .



ويا مربى الأجيال ..

كان المربى الأول يأخذ بيد الشباب ويفتح لهم أفاق الحياة المتميزة بالحركة والنشاط والجهاد ، حينما سأله الشاب عبد الله بن عمرو : يارسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو ، فقال ﷺ : « **يا عبد الله إن قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا** » ، فيالها من فضيحة يوم يبعث أحدنا من أجل امرأة ، أو من أجل منصب ، أو شهرة ، أو مال ، أو ثروة .

ويا علماء الأمة ..

أرأيتم يوم المدائن وقد جاء مجهول بكنز ممتلئ بالجواهر فقال القائد : ما رأينا مثل هذا قط ، ثم قالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فرد : أما والله لولا الله ما آتيتكم به ، فعرفوا أن له شأنا ، فاتبعوه فإذا هو عالم البصرة وزاهدها : عامر بن قيس التميمى .

ويا أباءنا ويا أمهاتنا ..

علموا أبناءكم الخوف من الله واتركوهم ينتصرون فى الحياة ، يقول تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ - القرآن - الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ...﴾ الأنعام / ٥١ ، ولذلك كان الصحابة يقولون : أوتينا الايمان قبل القرآن ، فالأم تقول لابنها يوم القيامة : يا بنى قد جعلت لك بطنى وعاء ، وصدرى سقاء ، وحجرى غطاء ، فهل من حسنة اليوم ؟ يقول الابن : ليتنى أستطيع ذلك يا أماه ، إنما



أشكو مما أنت منه تشكين !!! .

ويا أغنياء ويا فقراء ..

لن تنضبط أحوالنا من العيش الكريم والعدالة فى توزيع الثروات ، إلا بابتغاء وجه الله وحده ، لقد أبى أغنياء الأمس ذلك ، فأنزل الله على رسوله : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ... ﴾ الأنعام / ٥٢ ، إنهم لا يريدون المال أو الوسامة أو الوجاهة أو الوضع الاجتماعى ، فكم من أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره .

ولنا بإذن الله وقفة دائمة مع أنفسنا نتأمل فيها ﴿ ... **يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ** ... ﴾ الروم / ٣٨ ، وإجابات متجددة حول هذا التساؤل : كيف أجعل آخر لحظة لى فى الدنيا طاعة لله ؟ ، كيف يكون آخر عمل لى فى الدنيا طاعة لله ؟ ، كيف يكون آخر وقت لى فى الحياة طاعة لله تعالى ؟ هنالك تستقيم مجتمعاتنا ونسلك نحن الطريق إلى المجتمع الآمن المستقر .

***



الطريق إلى نجاح المجتمعات
انتبه يا مسئول ...

يفرح الكثير من الناس حينما يترقى ويصبح مسئولا ، وكأن الإنسان خلق ليكون منتهاه فى هذه الحياة أن يكون مسئولا ، ولوعلم أن كل إنسان منا مسئول ، ما زاحم ولا صارع ولا نافس ولا شاكس من أجلها فهو فى الحقيقة مسئول رضى بذلك أم أبى ، « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » بمعنى كلكم مسئول عما استرعاه الله من أى أمر ، ليس بحجم الأمر ولا ضخامته ولا شكله وإنما بمسئوليته ، وكلمة مسئول فى اللغة على وزن مفعول ، أى أن لكل مسئول سائل ، وإذا كان المستوى الأعلى دائما هو السائل ، فالأعلى تعالى هو سائلنا جميعا : ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ الأنبياء / ٢٣ ، ومن ثم استشعر ذلك خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾ الصافات / ٢٤ فأخذ يكررها حتى أغشى عليه ، فهلا انتبه كل مسئول لمسئوليته !!؟ .

هذا الاستشعار بالمسئولية إذن لا يحتاج إلى منصب أو مال أو وجاهة أو فهلوة أو ثقافة ، وإنما إلى شعور بالله أولا ، يجعل المسئول يستشعر الموقف بين يدى مولاه ، فلا مسئولية بدون



حساب ، لأن المسئولية تكليف وتبعة ، المسئولية تكليف وأثقال ، ومن ظنها غير ذلك فهو على خطر عظيم ، كمن يظنها شرف ينال ، أو وجاهة يسعى إليها ، أو سلطة لا يعيش إلا بها ، هؤلاء يعرضون أنفسهم لحساب شديد ، فالحساب واقع لا محالة ، حيث أن الحساب ممزوج بالمسئولية ، ولا حساب بدون تكليف : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ القيامة / ٣٦ .

ولذلك وضع الاسلام للتكليف شروطا ثلاثة حتى لايحسب البعض أنها تباع وتشترى أو يستطيع البعض أن يهرب من تبعاتها ، أو يغير فيها وفق هواه ومصالحه : « **رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل** » .

فالنائم فاقد للعقل ، والصبى فاقد للإدراك ، والمجنون فاقد للحياة ، وإنى لأعجب كل العجب من إنسان وهبه الله كل ذلك وهو بيده يفقد عقله او حياته أو إدراكه ، بالتدخين تارة أو بالمخدرات أخرى ، أو بالمسكرات والمنهيات ، أو بالإفراط والتفريط فى أموره ، وأقرب مثال لذلك بعض النواب عن الناس فى مجتمعاتنا أصحاب المصالح الذين يتعمدون العيش فى غيبوبة وهم يعلمون ، فيصفقون إذا صفق المصفقون وهم لا يدرون ، ويوافقون إن سمعوا كلمة موافقة وهم لا يدركون ، ويستيقظون رافعين أيديهم على أخطر قرارات ثم ينامون ، فهل رفع القلم عن

هؤلاء ؟ أم سقطت عنهم المسئولية ؟ ، وهل بالفعل تسقط المسئولية ؟ ومتى تسقط ؟ ، وعن من تسقط ؟ .

متى تسقط المسئولية ؟

هل نظرت إلى طفل صغير وهو ينعم بنوم عميق ، أرجو أن تتفحصه لدقائق ثم امسك ورقة وقلم ودون ما تشعر به ، إن شعورا عجيبا بالراحة والهدوء والسكينة ينتابك وكأنك فى عالم آخر ، حيث لا إدراك ولا وعى ولا عقل ولا إرادة ، ومن رحمة الإسلام بأبنائه أن تسقط عليهم المسئولية فى نفس حالات هذا الطفل الغائب عن الوجود : « **إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » ، أى فى ثلاثة مواقف تسقط المسئولية :

١ - النسيان :

الذى هو كالغيبوبة تعترى الانسان وهو مستيقظ ، فلا يدرى تماما ما فعل وما قال ، وليس تمثيلا أو تصنعا ، ولذلك حينما ضرب النبى المثل جعلها فى فريضة تنسى ، كالصلاة ، فقال ﷺ : « **من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة له إلا بذلك** » ، فما بالك بما هو دون الفريضة ! ، من عهد أو قول أو فعل أو تكليف .

٢ - الإكراه :

حينما ظن عمار بن ياسر أنه قد هلك ، لأنه سب النبى ونال منه تحت وطأة التعذيب مكرها على ذلك ، قال له النبى : كيف

تجد قلبك ؟ قال عمار على الفور : مطمئن بالايمان يا رسول الله ، فقال له النبى موضحا الأمر ونكاية فى هؤلاء الذين ينالون بالتعذيب ما يريدون : « **إن عادوا فعد** » ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ ... إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ... ﴾ النحل / ١٠٦ .

٣ - الاضطرار :

فى قوله تعالى : ﴿ ... فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ... ﴾ البقرة / ١٧٣ .

وحتى لا يقول أى إنسان كنت مضطراً لذلك ، حدد الله تعالى شرطين للاضطرار : لا يكون هناك عدوان على أحد أو تجاوز للحد ، وبذلك لا يجوز القول : كنت مضطرا للرشوة ، أو للانتقام منه ، أو تعذيبه ، أو ظلمه ، أو تنفيذ تعليمات ، أو أو أو ..... ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام / ١٤٨ ، حتى التعلل بان ما نفعله هو وقوع تحت وطأة القدر نفاه الله تعالى ، فهو ظن كاذب وتعلل واه ، وضحك على النفس فى غباء شديد .

لماذا المسئولية ؟

لا يتحمل أحد مسئولية غيره ، كلنا يحفظها ويعلم معناها جيدا ، بل ونحفظ جميعا الآيات الدالة على ذلك : ﴿ وَلا تَزِرُ



وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ... ﴾ فاطر / ١٨ ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة / ٧، ٨ وبالتالى : لا يتحمل أحد مسئولية عمل غيره ، حتى الطاعة التى أمر الله بها لغيره ، جعلها مقيدة ، بل جعل لها حدا ، فقال تعالى بالنسبة للوالدين : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ...﴾ ، لقمان / ١٥ ، وبالنسبة لطاعة ولى الأمر قال ﷺ : « **على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » ، وتظل المسئولية فى حدود القاعدة النبوية : « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » .

أنواع المسئولية

أولا : مسئولية القدوة :

(لا للمخالفة) ، وهذا العنوان الوحيد الذى تجد عنده كل مسئول حقيقى وليس الزائف ، وهذا ما دلنا عليه نبى الله صالح فى قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ... ﴾ هود / ٨٨ ، فهو الميزان الدقيق أو المعيار الحساس لمعرفة المسئول .

فإذا وصلت إلى العنوان استطعت أن تتعرف على أول ملامح مسئولية القدوة : وهى فى قول ابن تيمية : (لا تقية لقدوة) بمعنى الوضوح والأخذ بعزائم الأمور ، فالمسئول الحقيقى لا يأخذ بالرخص أو يبحث عنها أو يعرف بها ، حتى ولو كان فى الأمر نجاته أو تحقيق مصلحة ظاهرة أمام عينيه ، لقد ألح تلميذ الإمام



أحمد ابن حنبل على أستاذه يوم محنة الإمام فى مسألة القرآن كلام الله أم مخلوق ؟ ، فقال : يا إمام إنها كلمة قلها وانج بنفسك ، فأخذ الإمام بيده وذهب إلى الشرفة وقال له : انظر إلى أهل بغداد جاءوا جميعا يستمعون ما أقول أأنجو بنفسى وأضل هؤلاء ، وكان معهم الأقلام والأوراق ينتظرون كلمة الإمام .

والمسئول القدوة له شخصية ثابتة فى كل مكان ، وفى كل الأجواء ، أما الزائف فهو منفصم الشخصية ، تراه صارما فى عمله مستهترا فى بيته ، شيخا بالمسجد لاهيا مع صحبه ، أما القدوة فلا انفصام فى شخصيته ، فقد حذرنا النبى ﷺ من ذلك ، فى صورة الرجل الذى تندلق أقتاب بطنه يوم القيامة ، فيأتى إليه الناس مندهشين : يا فلان مالك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : نعم كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وأتيه .

ثانيا : مسئولية الكلمة

بكل أنواع الكلمة : المقروءة والمسموعة والمكتوبة ، ولن ينسى التاريخ موقف الشهيد سيد قطب ، يوم أن قالوا له : كلمة تأييد وتنجو من الإعدام :

قال : (إن أصبع السبابة التى تشهد لله بالوحدانية لتأبى أن تنحنى وتكتب كلمة تأييد لطاغية) .



وكم فى يومنا نستخدم أصبع السبابة ، فى غضبنا ، فى كتابتنا ، فى تهديدنـا ، فـى حملنا للأشياء ، إذا تذكرنا فى هذه اللحظات : الله الذى يشهد هذا الأصبع له بالوحدانية ، كانت كل أحوالنا مع الرحمن :

وما من كاتب إلا ستبقى
كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ
يسرك فى القيامة أن تراه

ثالثا : مسئولية العهد :

حقـيـقـة العـهـد أنه بينك وبين الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ... ﴾ الفتح / ١٠ .

وله ضابطان : أن يكون واضحا .
وأن يكون وفيا .

فما فائدة عـهد لا وضوح فيه ؟، وما قيمة عـهد لا وفاء معه ؟ ، بعد أن بايع عبـــادة بن الصامت رسول الله ﷺ طلبه النبى قائلا : « **والنصح لكل مسلم** »

وذلك من أجل أن يكون واضحا ، ويوم أن اختبر النبى وفاء الصحب الكرام لبيعتهم فطلب رأيهم فقالوا :

لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، بل نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا

إنا معكما مقاتلون .

إن مسئولية بهذا المفهوم تعنى :

لا شك

لا إحباط

لا اعتذار

لا أعذار

لا انتكاس

لا تراجع

والعجب أن ترى الاعتذارات الواهمة والأعذار الواهية ، والكلمات اليائسة ، والعبارات المحبطة ، ثم نفخر بمسئوليتنا وما نقدمه من أوقات ومعاناة وتعب وآلام وتضحيات ، وربما اتهمنا غيرنا بالتقصير والإهمال واختلاق الأعذار ! .

وأخيرا : انتبه يا مسئول !

من أعظم الخيانات خيانة المسئول ، فقد دعا عليه رسول الله فقال :

« **اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه** » .

ومن صور الخيانة أن يحتجب المسئول فلا يرى ، وهو بذلك يعرض نفسه لحساب يوم القيامة يقول النبى الكريم :

« **من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم**

وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة ».

ومن صور الخيانة أن تكون المناصب بالمحاباة ، فلا معايير ولا صفات للاختيار ، فيبعد الكفء ، ويتقدم الضعفاء ، والخاسر الوحيد هو العمل ، يقول أستاذ القادة ﷺ :

« من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فأمر عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، حتى يدخله جهنم ».

أعاذنا الله وإياك منها ، فانتبه يا مسئول ، وكلنا مسئول .


فهرس


١٧١

الموضوع **الفهرس** **الصفحة**



الموضوع **الفهرس** الصفحة





الموضوع **تابع الفهرس** الصفحة

٦ـ التنافس

الحلقة الأولى

الحلقة الثانية

الطريق إلى التنافس

الحلقة الثالثة

كيف نحقق التنافس فى حياتنا ؟



تابع الفهرس

الموضوع **الصفحة**





الموضوع **تابع الفهرس** الصفحة

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة





الموضوع **تابع الفهرس** الصفحة



تابع الفهرس

الاتصال بالمؤلف

محمول : ٠١٢٣٢١٧١٤٥

كتب للمؤلف

١ـ الدعوة المؤثرة .	دار التـــوزيع
٢ـ القيادة المؤثرة.	دار التـــوزيع
٣ـ المشاعر المؤثرة .	دار التـــوزيع
٤ـ فقه النفوس .	دار الدعـــوة
٥ـ فقه القلوب .	دار ابن الوليـد
٦ـ فقه السالكين .	دار التـــوزيع
٧ـ دليل المسافر.	دار المـــدائـــن
٨ـ الجنة والنار رأى العين .	دار الدعـــوة
٩ـ الغزوات فى ظلال القرآن .	دار الدعـــوة
١٠ـ العراق إلى أين ؟ .	دار المـــدائـــن
١١ـ فلسطين تحت الحصار .	دار المـــدائـــن
١٢ـ ورد القلوب شرح ورد الرابطة ،	دار التـــوزيع
١٣ـ الحب روح الحياة الزوجية .	دار أم القـــرى
١٤ـ حياة القلوب .	دار المـــدائـــن
١٥ـ حياة الأرواح .	دار المـــدائـــن
١٦ـ أيام وليالى رمضان .	دار المـــدائـــن
١٧ـ أمير الشهداء أحمد ياسين .	دار المـــدائـــن
١٨ـ الطبيب الشهيد عبد العزيز الرنتيسى .	دار المـــدائـــن
١٩ـ تربية النفوس.	دار المـــدائـــن
٢٠ـ الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية	دار أم القـــرى

كتب للمؤلف

٢١ـ فقه الحركة فى المجتمع .	دار الدعـــوة
٢٢ـ رسالة الشفاء .	دار المـــدائـــن
٢٣ـ كيف تنجح فى الحياة ؟	المدائن ـ الفنار
٢٤ـ الزوج رجل والزوجة امرأة .	المدائن ـ الفنار
٢٥ـ يا حبيبى يا رسول الله .	المدائن ـ لؤلؤة
٢٦ـ حقق حلمك فى الحياة .	دار المـــدائـــن
٢٧ـ ١٠٠ عبرة ودرس من قصص الأنبياء .	دار المـــدائـــن
٢٨ ـ مجتمع آمن مستقر .	دار الدعـــوة
٢٩ـ سلوك المسلم المعاصر .	دار المـــدائـــن
٣٠ـ التربية المؤثرة .	دار المـــدائـــن

المدونة: gmady-maktoobblog.com
E- mail:
gamalmady@ yahoo. com
madygamal@gmail.com